أخبار عبد الله بن علقمة

نسبه

وهو أحد بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة .

هو وحبيشة

ذُكر أن عبد الله بن عَلقمه هذا خَرج مع أُمِّه ، وهو إذ ذاك غلامٌ يَفَعة[1] دون المُحتلِم، لتزور جارةً لها، وكانت لها بنتٌ يقال لها: حُبيشة بنت حُبيش ،أَحدِ بنى عامر بن عبد مناة . فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبتْه ووقعت فى نفسه ، فانصرف وترك أُمَّه عند جارتها ، فلبثت عندها يومين . ثم أتاها عبدُ الله ليَرْجِعَها إلى منزلها ، فوجد حُبيشة قد زُيِّنت لأَمرٍ كان فى الحىّ ، فازداد بها عَجَباً ، فانصرف بأُمه فى غداةٍ تُمطر ، فمشى معها وأَنشأ يقول :

وما أَدرى بَـــلَى إنِّى لأَدْرِى أَصَوْبُ القَطْرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيشـــةُ والذى خلق الهَدايا وما إنْ عندها[2] للصَّبِّ عَيْش

فسمعتْ ذلك أُمُّه ، فتغافلت عنه وكَرِهت قولَه. ثم مَشَيا مليًّا ، فإذا هو بظَبْيٍ على رَبْوَةٍ من الأرض ، فقال :

يا أُمَّتا خَبِّرينى غيرَ كاذبةٍ ومايُريد مَسُولُ الحقِّ بالكَذِبِ
أتِلْكِ أحسنُ أم ظَبْىٌ برابيةٍ لابل حُبَيشةُ فى عينى وفى أَرَبى

فزجرتْه أُمه وقالت له : ما أنت وهذا ! أنا مُزوِّجتك ابنة عمك فهى أَجملُ من تلك . وأَتتْ امرأة عمِّه فأخبرتْها خبرَه ، وقالت : زَيِّنى ابنتَك له . ففعلت . فأَدْخلتْها عليه . فلما رآها أَطرق . فقالت له أُمه : أيُّهما الآن أحسن ؟ فقال :

---

(١) يفعة : شاب .

(٢) فى الأغانى : « وما عن بعدها » .

إذا غُيِّبتْ عـنِّى حُبيشةُ مَرةً ... من الدَّهرِ لم أَمْلِك عَزاءً ولا صَبْرَا
كأنّ الحشَى حرُّ السَّعير (١) يَحُشُّه ... وَقُودالغَضَى والقلبُ مُضطرمٌ... (٢)

وجعل يُراسل حُبَيْشَة وتُراسله ، حتى علقتْه كما عَلقها ، وكثُر قولُه من الشعر فيها ، فمن ذلك قولُه :

حُبيشةُ هل جَدِّى وجَـدُّك جامعٌ ... بشَمْلـكُم شَمْـلِى وأهلِـكُمُ أَهْلِى
وهـل أنا مُلتفٌّ بثوبكِ مَـرَّةً ... بصَحْراء بين الأَثْلَتَيْن (٣) إلى النَّخل
ومُرتشفٌ مِن رِيق ثَغـرك مَرَّةً ... كرَاح ومِسْكٍ خالطاضَرَبَ (٤) النَّحْل

فلما بلغ خبرُها أهلَها حَجبوها عنه مُدة ، وهو يزيد غراماً بها . فقالوا لها : عِديه السَّرْحةَ ، فإذا أتاك فقُولى : نَشدتُك الله إن كنت أحببتَنى فما على الأرض شىءٌ أبغض إلىّ منك ! ونحن قريبٌ نَسمع ما تقولين . فوعدتْه ، وجلسوا قريباً يَسمعون ، وجلستْ عند السَّرحة ، وأَقبل عبدُ الله لموعدها ، فلما دنا منها دمعتْ عينُها ، وٱلتفتت إلى حيث أهلُهـا جلوسٌ ، فعرف أنهم قريبٌ ، فرَجع . و بلغه ما أَمروها به أن تقولَه ، فأنشأ يقول :

فلو قلتِ ماقالوا لزِدْتُ بكم جَوَى ... على أنّه لم يَبْقَ سِتْرٌ ولا صَبْرُ
ولم يكُ حُبّى عن نوال بذلتـه ... فيُسلِيَنى عنه التجنُّبُ (٥) والهجر
وماأَنْسَ مِ الأشياء لاأَنسَ دَمْعَها ... ونَظْرتَهـا حتى يُغَيِّبنى القَـبْر

سرية خالد بن الوليد إلى بنى عامر

وفَتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على إثر ذلك مـكة ، و بَعث خالدَ بن الوليد إلى بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، قومِ عبد الله بن عَلْقمـة ، وأَمره أن

(١) يحشه : يوقده .
(٢) كذا فى الأصل . وفى الكلام نقص ، لعله تقديره : « جمرا » . وفى الأغانى : « والقلب مستعر » . وفى رواية أخرى : « والقلب مصفرا » . ولا يتزن بهما الشعر .
(٣) فى الأغانى : « الأليتين » . وألية : ماء لبنى سليم .
(٤) الضرب : العسل . (٥) فى الأغانى : « التجهم » .

يدْعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا و إلّا قاتلهم[1] . فَصَبحهم خالدُ بن الوليد بالغُمَيْصاء[2]،وقد عَلِموا به،فظَعنوا وخافُوه . وكانوا قتَلوا أَخاه الفاكه بن الوليد، وعَمَّه الفاكه بن المُغيرة ، فى الجاهليّة ، وكانوا من أشد حَيّ فى كنانة بأساً ، وكانوا يُسمَّوْن لَعقة الدَّم . وكان مع خالد بنو سُلَيم ، وكانت سُليم تطلبهم بمالكِ بن خالد بن صَخر بن الشَّريد ، و إخوته : كُرْز ، وعَمْرو ، والحارث ، وكانوا قتلوهم فى موطن واحد . فلما صَبَحهم خالد فى ذلك اليوم ، ورأوا معه بنى سُلَيم ، زادهم ذلك نفورا. فقال لهم خالد : أَسْلموا تسلموا . فقالوا : نحن قومٌ مُسلمون . قال : فأَلْقُوا سِلاحكم وأُنزِلوا . فقالوا : لا والله . فقال : جَذِيمة بن الحارث ، أحد بنى أَقرم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحكم ، فوالله ما بعد وَضْع السلاح إلّا القَتْل . قالوا : والله ما نُلقى سلاحَنا ولا ننزل ، ما نحن لك ولا لمن معك بآمنين . قال خالد : فلا أمان لكم إلّا أنْ تنزلوا . فنزلت فرقةٌ منهم فأَسرهم . وتفرّق بقيةُ القوم فِرْقتين ، فأَصْعدت فرقةٌ وسَفَلت أُخرى .

خبر ابن علقمة مع حبيشة فى مقتله

قال عبد الله بن أبى حَدْرد الأَسلمىّ : كنتُ يومئذ فى جُند خالد ، فبَعثنا فى إثر ظُعُنٍ[3] مُصْعدةٍ يسُوق بهنّ فتيةٌ ، فقال : أَدركوا أولئك . قال : فنحن فى إثرهم حتى إذا أدركناهم وقد مضَوْا ، وقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلما انتهينا إليه جعل يُقاتلنا ويَرتجز ويقول :

أَرخين[4] أطراف الذُّيول وأَرْبعْنْ
مَشْى حَبِيّاتٍ كأنْ لم يَفزَعْن
إن يُمْنع اليوم نساء يُمْنعْن

(١) انظر التنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٢٦٨ ليدن) ففيه ما يخالف هذا .
(٢) موضع قرب مكة . (٣) الظعن : النساء فى الهوادج ؛ الواحدة : ظعينة .
(٤) فى الأغانى : « بين » .

فقاتلناه طويلاً فقتلناه ، ومَضينا حتى لحقْنا الظُّعن . فخرج إلينا غلامٌ كأنه الأول يُقاتلنا ، ويقول :

أُقسم ما إنْ خادرٌ ذو لِبْدَهْ
يُرزم[1] بين أيكةٍ ووَهْدَه
بأصدقَ الغَداةَ مِنِّى[2] شَدَّه

فقاتلناه حتى قَتلناه . وأدركنا الظُّعن . وإذا فيهن غلامٌ وَضيء ، به صُفرة فى لونه كالمَنْهوك .

قلتُ :

وهذا الغلام هو عبد الله بن عَلقمة الذى جَرى له مع حُبيشة ما تقدّم ذكره . قال عبد الله بن أبى حَدْرد :

فربطناه بحَبل وقدَّمناه لنقتُله . فقال : هل لكم فى خَير ؟ قلنا : وما هو؟ قال: تُدركون بى الظُّعن أسفلَ الوادى ثم تَقتلوننى . قُلنا : نَفعل . فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يُسمعهن الصوتَ ، نادى بأعلى صوته : اسلمى حُبيش ، عند نفاد العَيش ! فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسّانة وقالت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ! فقال : سلامٌ عليك دهراً ، وإن بقيتُ عصراً ! قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً ووتْراً ، وثلاثة تَتْرى ! فقال :

إن يَقْتُلونى ياحُبَيْشُ فلم يَدَعْ هَوَاكِ لهم منِّى سِوَى غُلَّة الصَّدْرِ
فأنتِ التى أَخليتِ لحمِىَ من دَمِى وعَظْمى وأسْبلت الدُّموع على نَحْرى

فقالت له :

(١) يرزم : يصيح . ومنه : الرزيم ، وهو الزئير . والذى فى الأغانى : « يزأر » .
(٢) فى الأغانى : « نجده » مكان « شده » .

ونحن بكينا مِن فراقك مرةً وأُخرى وواسيناكَ فِي العُسر واليُسْرِ
وأنتَ فلا تَبعْد فنِعْم فتَى الهوى جميلُ العَفاف والمودّة فى [1] سِتْر

فقال لها :

أَرَيتَكِ إنْ طالبتُكم فوجدتُكم بحَرّةَ [2] أو أدركتُكم [3] بالخوانِق
ألم يك حقًّا أن يُنوَّل عاشقٌ تَكلَّف إدلاج السُّرى [4] والودائق

فقالت : بلى والله . فقال :

ولا ذنبَ لى قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبى بُودٍّ قبل إحدَى [5] الصَّفائق
أثيبى بُودٍّ قبل أن تَشْحط النَّوى ويَنْأى الخليطُ بالحبيب المُفارق

شعره الذى فيه الغناء

وهذا البيت [6] مع بيت آخر ، وهو قوله :

فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنَها إلى بلد ناءٍ قليل الأَصادق

هو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن علقمة.

تتمة خبر مقتله

قال ابن أبى حَدْرد : فضربنا عُنقه . فتقحّمت الجارية من خِدرها حتى أهوت نحوه ، فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه ، وإنها لتَكْسع [7] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأفلت من القوم غلامٌ من بنى أقرم يقال له : السَّميدع ، حتى اقتحم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره بما صنع خالد ، وشكاه .

(١) فى الأغانى : « فى المودة والستر » .

(٢) فى الأغانى فى نسخة الشنقيطى مصححة بخطه : « بحلية » وهى رواية شرح المواهب اللدنية (٣ : ٥) . وحلية : واد بتهامة .

(٣) الخوانق : موضع بتهامة .

(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى شدة الحر .

(٥) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها . والرواية فى الأغانى : « البوائق » .

(٦) يريد : « ولا ذنب لى ... » .

(٧) تكسع : تضرب .

رأى أبى عمرو الشيبانى فيه وفى الفرزدق والأخطل

وكان أبو عمرو يُشبِّه جريراً بالأعشى ، والفَرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .

رأى ابن دأب فيه وفى الفرزدق

وقال ابنُ سلاّم : قال ابن دأب :

الفرزدق أشعر عامةً ، وجرير أشعر خاصّة .

رأى أبى عبيدة فى تقديمه

وقال أبو عُبيدة :

يحتجّ مَن قدَّم جريراً بأن جريراً كان أكثَر هؤلاء الثلاثة فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلُّفاً ، وأرقَّهم نسباً ؛ وكان دِيِّناً عَفيفاً .

بين ابن سلام وأعرابى فى جرير والفرزدق

وذَكر محمد بن سلاّم قال :

رأيتُ إعرابيًّا من بنى أسد — ثم أحد بنى سلامة — أعجبنى ظَرفه وروايتُه ، فقلت له : أيهما عندك أشعر ؟ — يعنى جريراً والفرزدق — فقال : بيُوت الشِّعر أربعة : فخر ، ومَديح ، وهجاء ، ونَسيب ؛ وفى كُلها غَلب جرير ، قال فى الفخر :

إذا غَضبتْ عليك بنو تَميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهمُ غِضابَا

والمديح :

ألستُم خَيرَ مَن ركب المطايا وأندَى العالَمين بُطونَ رَاحِ

والهجاء :

فغُضَّ الطَّرف إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا

والنسيب :

إن العيُون التى فى طَرفها [1] مَرضٌ قَتلْننا ثم لم يُحْيين قَتْلانا

بين جرير وابنه فى أشعر الناس

وحكى عِكرمة بن جَرير قال :

قلت لأبى : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : أ لجاهليةَ تُريد أم الإسلام ؟ قال : قلت : خَبِّرنى عن الجاهليّة . قال : شاعر الجاهليّة زُهير . قلتُ : فالإسلام ؟ قال :

(١) فى رواية : « حور » مكان « مرض » .

نَبعة الشعراء الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صِفة المُلوك ويُصيب نعت الخمر . قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دَعنى فإنى نَحرتُ الشِّعر نَحْرا .

هو والفرزدق وقد وقف عليه بمربد البصرة

وذُكر أنه وقف الفَرزدق على جرير بمِرْبد البَصرة ، وهو يُنشد قصيدته التى هجا بها الرَّاعى النُّميرى ، فلما بلغ إلى قوله :

فغُضَّ الطَّرف إنّك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابَا

أقبل الفرزدقُ على راويته وقال : غَضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها ! فلما بلغ إلى قوله :

* بها برَصٌ بجانب [1] إسْكَتَيْها *

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغَطَّى عَنفَقَته . [2] فقال جرير :

* كعَنفقة الفرزدق حين شابا *

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهم أَخْزه ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولـكنى طمعتُ فى ألّا يأبه [3] ، فغطيتُ وجهى ، فمـا أغنانى ذلك شيئاً .

وفوده على يزيد ابن معاوية

وحكى جرير قال :

وفدتُ على يزيد بن مُعاوية بن أبى سفيان ، وأنا شاب ، فاُستؤذن لى عليه فى جُملة الشعراء ، فخرج الحاجبُ إلىّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يَصل إلينا شاعر لانَعرفه ولا نسمع بشىء من شعره ، وما سمعنا لك بشىء فنأذنَ لك على بصيرة . فقلت له : تقول لأمير المؤمنين : أنا القائل :

---

(١) الإسكتان : جانبا الفرج .

(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) فى الأغانى : « طمعت ألا يأبه » .

شعره الذى فيه الغناء

وهذه الأبيات النُّونية هى التى فيها الغناء، وافتتح بها أبو الفرج أخبار جرير. ومن هذه القصيدة:

بان الخليطُ ولو طُووعتُ ما[1] بانا ... وقَطَّعوا من حِبال الوصل[2] أَقْرانا
حَيِّ المنازلَ إذ لا نَبتغى[3] بَدلاً ... بالدَّار داراً وبالجيران جيرانا
قد كنت فى أثر[4] الأظعان ذا طَرَبٍ ... مُروَّعاً من حِذار البَين مِحْزانا

خبر وفوده على عمر بن عبد العزيز

وذُكر أنه لمّا ولى الخلافةَ عمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه، جاءه الشُّعراء فجعلوا لا يَصلون إليه. فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود، وعليه عِمامةٌ قد أَرخى طَرَفيها، فدخل، فصاح به جرير:

يأيُّها القارىء[5] المُرْخِى عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّى قد مضَى زَمنِى
أبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه ... أنِّى لدَى الباب كالمَصْفود فى قَرَن

فدخل على عُمر فاستأذن له، فأَدخله عليه، وقد كان هيأ له شعراً، فلما دَخل عليه غيَّره وقال:

إنَّا لنَرجو إذا ما الغيثُ أَخلفنا ... مِن الخليفةِ ما نَرجو من المَطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أَتَى ربَّه موسى على قَدَر
أأذكُر الجَهْدَ والبَلْوَى التى نزلتْ ... أم أكتفى[6] بالّذى بُلِّغتَ من خَبرى
ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ[7] تَعرَّقُنى ... قد طال بعدك إصْعَادِى ومُنْحدرى
لا يَنفع الحاضرُ المَجهودُ بادِيَنا ... ولا يَجود لنا بادٍ على حَضَر

(١) فى رواية: «بان الأخلاء ما ودعت من».
(٢) فى رواية: «أركانا» مكان: «أقرانا».
(٣) فى رواية: أصبحت «لا أبتغى من بعدهم».
(٤) فى رواية: «وصرت مذ ودع».
(٥) فى الديوان: «يأيها الرجل».
(٦) فى رواية: «أم تكتفى».
(٧) تعرقنى، أى تسلبنى ما عندى وتستصفيه.

كم بالمواسمِ من شَعْثَاء أَرْمَلةٍ ومن يَتيمٍ ضَعيفِ الصوتِ والبَصر
يدعوكَ دعوةَ مَلْهوفٍ كأنّ به خَبْلاً من الجنّ أو مَسًّا من[1] النُّشَر
ممّن يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقْدَ والدِه كالفَرْخِ فى العُشِّ لم يَنْهَض ولم يَطِر

فبكى عُمر رضى الله عنه وقال: يا بن الخَطَفى، أمن أبناء المُهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناء الأنصار فيَجبَ لك ما يجب لهم، أم من فُقراء المُسلمين فنأمرَ صاحب صدقات قَومك فيَصِلَك بمثل ما يَصلُ به قومَك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإنى لمن أكثر قومى مالاً، وأحسنهم حالا، ولكنى أسألك ما عَوَّدنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يَتبعها من كُسوة وحُملان. فقال له عُمر: كُل امرىء يَلْقى فعلَه، وما أرى لك فى مال الله من حق، ولكن انتظر يخرج عطائى، فأَنظُر ما يكفى عيالى سنةً منه فأَدَّخره لهم، ثم إن فَضل فَضلٌ صَرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يُوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحْمَد، وأخرجُ راضياً. قال: فذلك أحبُّ إلىَّ. فخرَج. فلما ولَّى، قال عمر: إنَّ شَرَّ هذا ليُتَّقى! رُدُّوه إلىّ. فردُّوه. فقال: إن عندى أربعين ديناراً وخِلْعتين، إذا غُسلت إحداهما لبستُ الأُخرى، وأنا مُقاسمك ذلك؛ على أن الله عَزّ وجل يعلم أن عُمرَ أحوجُ إلى ذلك منك. فقال: قد وفَّرك الله يا أمير المؤمنين، وأنا والله راضٍ. فقال: أمّا وقد حلفتَ فإنّ ما وفَّرته علىّ ولم تُضيِّق به مَعيشتنا آثَرُ فى نفسى من المَدح، فأمض مُصاحَباً. فخرج. فقال له أصحابُه، وفيهم الفرزدقُ: ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرة؟ قال: خرجتُ من عند رجل يقرِّب الفُقراء ويُباعد الشعراء، وأنا على ذلك عنه راضٍ. ثم وَضع رِجْله فى غَرْز ناقته وأتى قومَه. فقالوا له: ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزرَة؟ فقال:

(١) النشر: جمع نشرة، وهى الرقية.

مروان فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ ، يا أبا حَزْرة . فردّ إليه بصرَه ، ثم قال : فلا حيّاك الله يا بن النَّصرانية ! أمّا مَنْعك نَوْمى ، فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك ! وأما تهضُّمك قومى ، فكيف تتهضَّمهم وأنت ممن ضُربت عليهم الذِّلةُ ، وباء بغضب من الله ، وأدّى الجزية عن يدٍ وهو صاغر . وكيف تتهضَّم ـ لا أُم لك ـ قوماً فيهم النبوّة والخلافة ، وأنت لهم عبدٌ مأمور محكومٌ عليه لاحاكم ! ثم أقبل على عبد الملك فقال : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أبن النصرانية . فقال : ليس يجوز ذلك فى مجلسى .

وفوده مع ابن الحجاج على عبد الملك

وحُكى أن الحجاج بن يوسف أوفد أبنَه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وأوفد معه جريراً وأوصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردا أستأذن له محمد على عبد الملك . فلم يأذن له . وكان لا يستمع من شُعراء مُضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبيريّة الهوى . فلما أستأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله فى أمره ويقول له : إنه لم يكن ممّن مالأ أبنَ الزُّبير ولا نَصره بيده ولا لسانه . وقال له محمد : يا أمير المؤمنين ، إن العرب تتحدّث أنّ عبدك وسيفَك الحجاج شَفع فى شاعر قد لاذ به وجَعله وسيلتَه ، ثم رددتَه . فأذن له . فدَخل عليه . فأستأذن فى الإنشاد . فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قولك فى الحجّاج ؟ ألست القائل :

مَن سَدّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليكمُ أم من يَصُول كصولة الحجّاج

إن الله لم ينصرنى بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفتَه ! أوَلستَ القائل :

أَم مَن يَغار على النِّساء حَفيظةً إذ لا يَثِقْن بصَوْلة[1] الأزواج

يا عاضّ كذا وكذا من أُمه ! والله لهممتُ أن أَطير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطها ،

(١) فى الأغانى : « بغيرة » .

أُخرُج عنِّى! فخرَج بشرٌ . فلما كان بعد ثلاثٍ شفَع إليه محمد بن الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أديتُ رسالة عبدِك الحجّاج وشفاعَته فى جرير ، فلما أذنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه وغَضَّ منه وأشمت به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له ، فإن رأيتَ أن تَهَب كُلّ ذنب له لعبدك الحجّاج ولِى فافعل . فأَذِن له . فاستأذنه فى الإنشاد . فقال : لا تُنشدنى إلا فى الحجّاج ، فإنما أنت للحجاج خاصّة . فسأله أن يُنشده مديحَه فيه . فأَبى وأقسم ألاّ يُنشده إلا من قوله فى الحجّاج . فأنشده ، وخرَج بغير جائزة . فلما أَزف الرحيلُ ، قال جرير لمحمد : إن دخلتُ على أمير المؤمنين ولم يَسمع منِّى ولم آخُذ له جائزةً سقطتُ آخرَ الدَّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لى فى إنشاده . فأمسك عبد الملك عن الإذن له.فقال جرير لمحمد : أرحل أنت وأُقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير ، واستأذنه وسأله أن يسمع منه ، وقبَّل يده ورجلَه . فأَذن له . فدخل فاستأذن فى الإنشاد . فأمسك عبدُ الملك عن الإذن . فقال له محمد : أَنشِدْ وَيْحك ! فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألستُم خيرَ مَن رَكب المَطايا وأَندى العالَمين بطُونَ رَاحِ

فتبسّم عبد الملك وقال : كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحدين أبا خُبَيْبٍ رِجاحاً هل شُفيت من الجِماحِ
وقد وجدوا الخليفةَ هِبرزيًّا أَلَفَّ العِيصِ[1] ليس من النَّواحى
وما شجراتُ عِيصك فى قُريش بعشّاتِ الفرُوع[2] ولا ضَواحى

ثم أنشده إياها . ثم ذكر زوجته فيها فقال :

(١) الهبرزى : الخالص . وألف : ملتف . والعيص : الأصل ، والشجرة أيضاً . يريد أنه من وسط العز لا من أطرافه .

(٢) عشات : جمع عشة ، وهى الشجرة الدقيقة القضبان الثيمة المنبت . والضواحى : جمع ضاحية ، وهى البادية العيدان لا ورق لها .

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالى
فارقتنى حين كفّ الدهرُ من بَصَرى ... وحين صِرْتُ كعظم الرِّمة البالى
أمسى[1] سوادةُ يجلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصرصر فوق المَرْبأ العالى
إنّ الثَّوِيّ[2] بذى الزَّيتون فاحتسبى ... قد أسرع اليومَ فى عَقْلى وفى حالى
إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ ... فرُبّ باكيةٍ بالغَوْر[3] مِعْوال
كأُم بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهده ... حَنَّت إلى جَلَدٍ منه وأَوْصال
حتى إذا عَرفتْ أن لا حياةَ به ... رَدَّت هَمَاهِمَ[4] حَرَّى الجوفِ مِثْكال

هجاؤه الفرزدق وقيل :

كان بين الفرزدَق وجرير أهاجٍ ومُناقضات كثيرة، فمما قاله جرير فى الفرزدق، وقد أعان عليه البُعيثُ :

تَمنَّى رجالٌ من تميم لِىَ الرَّدَى ... وماذاد عن أحسابهم ذائدٌ مِثْلِى
كأنّهم لا يَعلمون مواطِنِى ... وقد عَلِموا أنِّى أنا السابقُ المُبْلِى
فلو شاء قومى كان حِلْمِىَ فيهمُ ... وكان على جُهّال أعدائهم جَهْلى
وقد زَعموا أنّ الفرزدق حَيَّةٌ ... وما قَتَل الحيّاتِ من أحدٍ قَبْلى

هجاؤه الأخطل وهجا الأخطلُ التَّغْلبىّ جريراً بقوله فيه يُفضّل عليه الفرزدق :

أخسأ إليكَ كُليبُ إنّ مُجاشعاً ... وأبا الفوارس نَهْشَلاً أَخَوانِ
وإذا وَرَدْتَ الماء كان لدارِمٍ ... جُمّاتُه وسُهولةُ[5] الأَعطان
وإذا قَذَفْتَ أباكَ فى مِيزانهمْ ... رَجَحوا وشال أبوك فى المِيزان

فأجابه جرير بقوله يُعيّره فيه بقَتل كُليب وائل بناقة :

---

(١) فى رواية : « أودى » .
(٢) الثوى : المقيم .
(٣) فى رواية : « بالرمل » .
(٤) الهماهم : جمع همهمة .
(٥) الجمات : جمع جمة ، وهى مجتمع الماء . والأعطان : جمع عطن ، وهو مناخ الإبل حول وردها .

يا ذا العَبَاءة إنّ بِشْراً قد قَضَى ألاّ تَجُوز حكومةُ النَّشْوانِ
فدعُوا الحكومة لستُمُ من أهلها إنّ الحكُومة فى بَنى شَيْبان
قتلوا كُلَيْبكمُ بِلقْحة جارِهم ياخُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجَان

رثاؤه الفرزدق

وذُكر أنه نُعى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله ، وجرير عنده ، فقال :

مات الفرزدقُ بعد ما جدَّعتُه ليت الفرزدقَ كان عاش قليلاَ

فقال له المُهاجر : بئس لعَمْرُ الله ما قلتَ فى ابن عمك ! أتَهجو ميِّتاً ! أما والله لو رثيتَه لكنت أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمها علىّ فإنها سوءة . ثم قال من وقته :

فلا وضعتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعلَّتِ
هو الوافدُ المَيمونُ والراتقُ[1] الثَّأى إذا النعلُ يوماً بالعَشيرة زَلَّت

ثم بكى وقال : أما والله إنّى لأعلم أنى قليلُ البقاء ، ولقد كان نجمُنا واحداً ، وكان كُل واحد منّا مشغولاً بصاحبه ، وقلما مات ضدٌّ إلا تبعه صاحبُه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة .

(١) الثأى : الفساد .

أخبار جميل

نسبه

هو جميل بن عبد الله بن مَعمر بن الحارث بن ظَبيان بن قيس بن جَزء بن رَبيعة ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كَثير بن عُذْرة بن سعد — وهو هُذَيم ، سُمى بذلك إضافةً لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له : هُذيم ، وكان يحضُنه فغلب عليه — ابن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة . واختلف فى قُضاعة ، فقيل : هو ابن معدّ بن عدنان . وقيل : هو ابن مالك بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ بن يشجُب بن يَعْرب بن قحطان . وهو الأصح .

شعره فى نسبه إلى معد

وقد ذكر جميل نَسبه إلى معدّ فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنامِ من مَعَدّْ ... فى الأُسرة الحَصْداء[1] والعِيص الأَشَدّْ

راجز ينسبه إلى حمير

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حمير :

قضاعةُ الأَثْرَوْن خيرُ مَعْشرِ ... قُضاعةُ بنُ مالك بن حِمْيرِ

النَّسب المَعروف غيرُ المُنكر

منزلته فى الشعر

وجميل شاعر فصيح مقدَّم ، جامع للشعر والرواية . وكان راوية هُدبة بن خَشْرم ، وكان هُدبة شاعراً راويةً للحُطيئة ، وكان الحُطيئة شاعراً راوية لزُهير وابنه كعب .

أحب بثينة

وكان جميل يَهوى بُثينة بنت حَبأ بن ثعلبة بن الهَوذ بن عمرو بن الأحبِّ بن حُنّ بن ربيعة . تَلتقى هى وجميل فى « حُن بن ربيعة » فى النَّسب .

لكثير فيه

وذُكر أن كُثيِّراً الخُزاعى كان راويةَ جميل ، وكان يقدِّمه على نفسه ويَتَّخذه إماماً ، وإذا سُئل عنه قال : وهل علَّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلا منه !

(١) الحصداء : القوية .

هو وكثير

وكان لكُثيّر حظٌّ فى النَّسيب وافر ، وجميل مُقدَّم عليه وعلى أصحاب النَّسيب فى النَّسيب . وكان جميلٌ صادق الصَّبابة والعِشْق ، ولم يكن كُثيِّر بعاشقٍ ، ولكنّه كان يتقوّل .

أول حبه بثينة

وذُكر أن أول ماعلق جميلٌ بُثينة أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها واديا يقال له: بَغيض . فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً ، وأهلُه [1] بذَنب الوادى . فأقبلت بُثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماء ، فمرّتا على فِصَال له بُروكٍ ففرتهن [2] ، وهى إذ ذاك جُويريةٌ صغيرة ، فسبّها جميل ، فافترَتْ عليه ، فلُح إليه سِبابُها ، فقال :

وأَولُ ما قاد المــودةَ بيننا ... بِوادِى بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلت لها قولاً فجاءت بمثله ... لكُل كلامٍ يا بُثَيْنَ جَواب

وذُكر أنّ جميل بن مَعمر خَرج فى يوم عيد والنساء إذ ذاك يَتزيَّنّ ويَبْدو بعضهُن لبعض، ويَبْدون للرِّجال فى كُل عيد . وإن جميلاً وقف على بُثينة وأُختها أُم الجُسير فى نساء من بنى الأحبّ . فرأى منهنّ منظراً فأعجبه ، وعَشق بُثينة ، وقعد معهن . ثم راح ، وقد كان معه فِتيان من بنى الأحب ، فعلم أن القوم قد عَرفوا فى نَظره حُبّ بُثينة ، ووجدوا عليه . فراح وهو يقول :

عَجِل الفِراقُ ولَيْته لم يَعْجل ... وجَرَتْ بوادرُ دَمْعك المُتهلِّل
طَرَباً وشاقكَ ما لقيتَ ولم تَخَفْ ... بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرقةِ مِجْول
وعرفتَ أنك حين رُحْتَ ولم يكن ... بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِل
لن تَستطيع إلى بُثينة رَجْعةً ... بعد التفرُّق دون عامٍ مُقْبل

وقيل : لما أُخبرت بثينةُ أن جميلاً قد نَسب بها، حلفت بالله لايأتيها على خلاء إلّا خرجتْ إليه ولا تَتوارى منه . فكان يأتيها عند غَفلات الرِّجال فيتحدث

(١) فى الأغانى : « وأهل بثينة » .
(٢) فى الأغانى : « فعرمتهن » أى أصابتهن بشر .

إليها ومع أخواتها ، حتى نُمى إلى رجالها أنه يتحدّث إليها إذا خلا منهم . وكانوا غُيُراً ، فرَصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عشرَ رجلاً ، وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثينةَ وأُم الجُسير ، وهما يُحدِّثانه وهو يُنشدهما :

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... هُوِىَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ (١)
لقد ظنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً ... سُلَيْمى ولا أُمَّ الجُسيرِ لحين
فليت رجالاً فيكِ قد نَذَرُوا دَمِى ... وَهَمُّوا بقَتْلى يا بُثينَ لَقُونى
إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون مَن هـذا وقد عَرَفونى
يقولون لى أهلاً وسهلاً ومرحباً ... ولو ظَفَروا بى ساعةً قتلونى
وكيف ولا تُوفى دماؤُهمُ دَمِى ... ولا مالُهم ذو كَثْرةٍ فَيَدُونى
لِىَ اللهُ من لا يَنفع الودُّ عنده ... ومَن حَبْله إن مُدَّ غيرُ مَتين
ومَنْ هو ذو لونَيْن ليس بدائم ... على العَهد خَوَّان لكُلّ أَمين

المهاجاة بينه وبين ابن قطبة

فكان هذا أول سبب المُهاجاة بين جَميل و بين عُبيد الله بن قُطْبة ، ابن عَمّ بُثينة لَحًا . ومَرّ به الذين أُرصدوا ليأخذوه فى مَضيق ، ولما مَرّ بهم وثبوا ، فرماهم بناقته ، فتعلّق أحدُهم بشَليلها (٢) ، فنَهضت وانقطع الشَّليل ، فقال جميل فى ذلك :

(٣) إذا رَصدوها مَرصداً جاهرتهُمُ ... براكبها حتى تُخَلِّى سبيلُها
تَنِجّ أجيجَ الرِّيح لما تَحسّرتْ ... مَناكبُها وأبتُزّ عنها شَليلها

هو ونبيه و بثينة

وذُكر أن جميلاً خَطب بُثينة ، وكان نُبيه ابن عَمّها قد سَبق إلى خُطبتها ، فوعده أبوها ولم يَعقد له نكاحا ، لأنها كرهته ، وكان قبيحاً ذميماً ، فى إحدى عينيه

(١) دفين : موضع . ولم تورد نسخ الأغانى غير الأبيات الثلاثة الأولى .
(٢) الشليل : الكساء الذى تحت الرحل . وفى الخبر إطالة ليست فى نسخ الأغانى .
(٣) رواية الأغانى : « إذا جمع الإثنان جمعا رميتهم * بأركانها » .

نُكتة بَياض قبيحة ، فخرج جميلٌ وأبنا عمّه : مَسعدة ، ورَوق، وخرج معهما نُبيه إلى الصَّيد ، فمر بهم رجلٌ من خُزاعة كان شديداً يتعاطى الصِّراع ، فقال له نُبيه : هل لك فى مُصارعتى؟قال : ذلك إليك. فاتَّخذا[1]. فصرعه الخُزاعى وجلس على صَدره . فضحك جميلٌ وصاحباه من ذلك . فقام نُبيه إلى الخُزاعى فقال له : عاودْنى . فقال : لا أفعل . فتعلّق به . فقال له جميل : ماذا تُريد من الرجل ؟ طالبته بالصراع فصرعك ، والمعاودةُ إليه إن أرادها ، و إلا فلا سبيل لك عليه . قال : أفتصارعنى يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ! قال : أُحبه وأشتهيه . قال : فوالله مالك فيه خيرٌ ، فإن أحببته على ذلك فهلُمّ . فاتّخذا . فصرعه جميل . ثم سأله المُعاودة فصَرعه ثانية . ثم سأله المُعاودة ثالثة فصَرعه. وضرط نُبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضباً . وأقام القومُ على صيدهم . فسأله فتيان العَشيرة عن سبب رُجوعه ، فقال : دعانى جميل إلى الصراع فكرهتُ ذلك ، ثم ألحّ علىّ فصارعته فصَرعته ، فوثب علىّ أبنا عمّه فنحّياني عنه وألقياه على صدرى ، فرجعتُ مغضبا . فقالوا له : ما كان يَنبغى لك أن تُصارع أبن عمك وهو نازل حَيّك ، و إذ قد جرى هذا فلا ينبغى لك أن تُفيض فى ذكره ولا تُعيده . فقالت بُثينةُ : كذب والله نُبيه ! لو صَرع جميلاً لا غُم وجهه ، ولكنّ جميلاً صرعه فغضب ، فانصرف . وتضاحكت به هى ونساء الحىّ . وعاد جميل وصاحباه فتحدّثوا بالحديث على جهته . وألح نُبيه منذ يومئذ فى تزوج بُثينة ، وبَذل لهم مالاً عظيما ، وكان كثير المال ، فتزوّجها ودخل بها على كُره منها . ففى ذلك يقول جميل :

أعاذل قد أكثرت جهلاً من الجهل ... على غير شىء من مَلامِى ومن عَذلى
كأنك لا تدْرين ما حال ذى الهَوى ... ولم تَعْرفى فى الناس ذا صَبْوة قَبلى
فلو تركت عَقْلى معى ما طلبتُها ... ولكن طِلابيها لِمَا فات من عَقْلى
بُثينة قالت يا جَميل وسَوّدت ... مَجال القَذى منها بُثينة بالكَحل

(١) الاتخاذ فى القتال : أن يأخذ بعضهم بعضا ، افتعال من الأخذ ، وأصله : الائتخاذ ، بهمزتين إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة و إبدال التاء .

أتصرم حَبلى يا جميـلُ وقادنى ... إليك الهوى قَوْدَ الجَنيبة[1] بالحبل
فيا ربِّ ما وقَّيتَ شيئاً فَوَقِّهـا ... حُتُوفَ الرَّدى يارب وٱجمع بها شملى
ويارب إن تَهلِك بثينةُ لا أَعِشْ ... فُواقا[2] ولا أفرح بمـالٍ ولا أهل
فلستُ على بَذل الصفَاء هويتَها ... ولـكن سَبَتْنى بالدَّلال مع البُخل
وقيل ٱلتمسْ بالنأى للحُب سلْوةً ... ولم أُلْفِ طُول النأى عن حبها يُسلى
فأنت حديثُ النَّفس إن كنتُ خالياً ... وجُلُّ حديثى أنتِ فى الجدِّ والهزل
لها مُقلتا أدماء تَقْرو[3] خَميلةً ... وجيدٌ كجيد الشادن الرَّشأ الطَّفل
مُهَفْهفة الأعلى كأن إزارهـا ... يُلاَث على قُور دَميثٍ[4] من الرَّمل
لقد أنكحوا حَرْبى نُبيهاً ظعينةً ... أَسيلةَ[5] مَجرى الدَّمع ذات شوىً عَبْل
فلا تَقْتُلينى يا بُثين فلم أُصب ... من الأمر ما فيه يحلُّ لـكم قتلى
فأصبحتُ منها فى الهوى ذا علاقةٍ ... كعارٍ غريبٍ مُوثَق لُزَّ فى كَبْل
فيا ربّ لا تَجعل بُثينةَ شقْوةً ... علىّ ولا تَجعل بهجرانها قَتْلى

حيلته لرؤية بثينة بعد زواجها

وذُكر أن بُثينة لما تزوّجت نُبيها أسِف جميل وجَزِع جزعاً شديدا، فقطع زيارةَ بُثينة وهجرها. فطالت المدةُ فى هجره إياها، ثم قال لمَسعدة ورَوق، أبنى عمه، وكانا له صفيَّيْن: قد طال هجرى بثينة وتجلُّدى على بعدها، وإن ذلك لقاضٍ علىّ، أو دافعى إلى أن أرى منها ما يُسخن عَينى. فقالا له: فأَبق على نفسك إن كنت لا تُطيق السُّلو عنها، وٱصبر على بعض ماتكره، وألِمَّ بها إلمامةً فلعلّك تَستريح إليها. فأَجْمع على ذلك ومَضى معهما، فلقى جاريةً لها حَبشيّة فلم يُكلِّمها ولا أعلمها أنه قَصد بُثينة، ولـكنه جلس مع أبنى عمّه مستظلاً بشجرة، ومَطـايا هم

(١) الجنيبة: الدابة تقاد. (٢) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. ولم يذكر فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى إلا القليل من هذه الأبيات. (٣) تقرو، أى تألف.
(٤) القور: الآكام. والدميث: اللين السهل.
(٥) فى الأغانى: «لطيفة طى الكشح ذات شوى خدل».

معقولة كأنهم يريدون أن يريحوا . فبادرتهم الأمةُ إلى بُثينة فأعلمتها . فجاءت هى وأم الحُسين ، وليلى ، وأم منظور ، فلما رأينه سلَّمن عليه وعلى صاحبيه . وجلس إليهن . فقالت له أم منظور : أين كنت بعدنا وأين كانت غيبتك؟ لقد طال شوقُنا إليك . فقال : اغتربتُ عنكن فى أهلى وافترقنا ، فرأيت التباعد عمَّا حَدَث أجمل. فبكت بثينةُ وقالت : لكنّا والله ما تباعدنا منك ولا زادتْنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لمودتك . وتحدّثا بقية يومهما وليلتهما وتشاكيا حتى أصبحا . وقال جميل فى ذلك :

ألا طال كِتمانى بُثينةَ حاجةً ... من الحاجِ ما تَدْرى بُثينةُ ماهِيَا
أخاف إذا أنبأتُها أن تُضيعَها ... فتتركها ثِقْلاً علىّ كما هِيا
أغرَّك أنّى لا بخيلٌ عليكمُ ... ولا مُفْحِشٌ فيما لديك التَّقاضيا
ذكرتُك بالدَّيرين يوماً فأشرفت ... بَناتُ الهوَى حتى بلغنَ التّراقيا

وذكر أبو الفرج فى هذا الشعر أبياتاً كان نسبها من قبل إلى المجنون ، منها

* وخبَّرتُمانى أنَّ تيماء منزل *

هو وبثينة ببرقة ذى ضال

وذُكر أنه وعد جميلٌ بُثينةَ بُرْقَةَ ذى ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا، ثم قال لها : هل لك أن تَرقدى ؟ قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا . فوسَّدها جانبه ، ثم اضطجعا فنامت . وانسل واستوى على راحلته فذهب . وأصبحت فى مضجعها . فلم يرُعِ الحىَّ إلّا بها راقدةٌ عند مُناخ راحلة جميل. ولما انتبهت بُثينةُ علمت ما أراده جميل بها . فهجرته وآلت ألاّ تظهر له . فقال جميل :

فمن يَكُ فى حُبِّى بُثينةَ يَمْتَرِى ... فبُرْقة ذى ضالٍ علىّ شَهِيدُ

وقال أيضاً :

ألاَ هَل إلى إلمامةٍ أن ألِمَّها ... بُثينةُ يوماً فى الحياةِ سَبِيلُ
فإنْ هى قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها ... عَنَاءٌ على العُذْرىّ منكِ طَوِيل

على حين يسلو الناسُ عن طَلَبِ الصِّبا ... ويَنْسى اُتِّباعَ الوصلِ كُلُّ[1] خَليل

شكاه أهل بثينة فلامه أهله وشعره فى ذلك

وقيل :

شكى زوجُ بُثينة إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها ، فوجَّهوا إلى جَميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وتوعّدوه . وأتاهم فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا : إنّا[2] نَستحلف إليهم ونتبرّأ منك ومن جَريرتك . فأقام مُدَّة لا يُلِم بها . ثم لَقِى ابنى عمِّه رَوْقاً ومَسعودا ، فشكا إليهما ما به ، وأنشدهما قولَه :

زُورَا بُثينةَ والحبيبُ مَزُورُ ... إنّ الزِّيارةَ للحَبيب[3] يَسيرُ

إنِّى عشيةَ رُحتُ وهى حَزينةٌ ... تَشْكو إلىَّ صَبابةً لصَبُور

وتقول بِتْ عندى فديتُك ليلةً ... أشْكو إليكَ فإن ذاك يَسير

غَرّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حَدِيثها ... دُرٌّ تَحَدَّرَ نَظْمُه مَنْثُور

مَحْطوطةُ[4] المَتْنين مُضْمرة الحَشْى ... رَيَّا الرَّوادف خَلْقُها مَمْكور

لا حُسْنُها حُسنٌ ولا كدَلالها ... دَلٌّ ولا كوَقارها تَوْقير

إن اللِّسان بذكرها لَمُوَكَّل ... والقَلب صادٍ والنَّواظر[5] صُور

ولئن جَزيْتِ الوُدَّ منِّى مثلَه ... إنِّى بذلك يا بُثَيْن جَدير

فقال له رَوق : إنك لعاجزٌ ضعيف فى اُستكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدالَ بها ، مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجمل منها ، وإنك منها بين فُجور أرفعك عنه ، أو ذُلٍّ لا أُحبّه لك ، أو كمَدٍ يؤدِّيك إلى التَّلف ، أو مُخاطرة بنَفسك لقومها إنْ تعرَّضت لها بعد إعذارهم إليك ؛ وإن صرفتَ نَفسك عنها ، وغَلبت هَواك فيها ، وتجرَّعت مَرارة الحَزْم حتى تَألفها وتَصْبِر نفسك عليها[6] ، طائعةً أو

(١) فى الأغانى : « منه » مكان : « كل » .
(٢) فى الأغانى : « استخلص إليهم » .
(٣) فى الأغانى : « للمحب » .
(٤) محطوطة : ممدودة .
(٥) صور : مائلات . والرواية فى الأغانى : « والخواطر صور » .
(٦) فى الأصل : « بنفسك عنها » .

كارهة ، ألفتَ ذلكَ وسلوت . فبكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملكتُ اختيارى لكان ما قُلتَ صواباً ، ولكنِّى لا أملك الاختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نَفْعا ، ولقد جئتك لأمرٍ أسألك ألاّ تُكدِّر ما رجوتهُ عندك فيه بلَوْم ، وأن تَحْمِل على نفسك فى مُساعدتى . فقال له : فإن كنتَ لا بدَّ مُهْلِكاً نفسَك فاعْمل على زيارتها ليلاً ، فإنها تخرج مع بنات عمِّها إلى ملعب لهنّ ، فأجىء معك حينئذ سرًّا ، ولى أَخ من رَهط بُثينة من بنى الأحبّ ، نأوِى عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتك على هذا ، فتقيم عنده أياما نهارك ، وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضى أربك . فشكره . ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بُثينة فأَخبره الخبرَ ، واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَنى بإحدى العظائم ، ويحك ! إنّ فى هذا مُعاداتى الحىّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يَظْهر . فوعده بذلك . ومَضى إلى جميل فأَخبره بالقصّة . فأَتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده ، وأرسل إلى بُثينةَ بوليدة له بخاتَم جَميل ، فدَفعته إليها . فلما رأتْه عرفته ، وتبعتْها ، فجاءته فتحدّثا ليلتَهما ، وأقام بموضعه ثلاثة أيام ، ثم ودّعها وقال لها : عن غير قِلًى والله ولا مَلَل كان وَداعى إياك ، ولكنِّى قد تذمَّمتُ من هذا الرجل وتعريضه نفسَه لقومه ، وقد أقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم أنصرف ، وقال فى رَوق أبن عمه ومَلامه إياه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قَرَابةٍ ... حبيبٌ إليه فى مَلامته رُشْدِى
وقال أَفِقْ حتى مَتى أنت هائمٌ ... بِبَثْنةَ فيها قد تُعيد وقد تُبْدِى
فقلت له فيما قَضى الله ما تَرى ... علىّ وهل فيما قَضى الله من رَدِّ
فإن يَكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوَايةً ... فقد جئتُه ما كان منِّى على عَمْد
لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا ... وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْد

فلا وأبيك[1] الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ... ولا لىَ عِلْمٌ بالذى فعلتْ بعدى
وما زادهـا الواشُون إلاّ كرامةً ... علىّ ولا زالتْ مودّتُها عندى
أفى الناسِ أمثالى أحبُّوا[2] فُخبُّهم ... كحُبِّىَ أم أحببتُ من بَينهم وَحْدى
وهل هكذا يَلْقى المُحبُّون مثل ما ... لَقيتُ بها أم لم يَجد أحدٌ وجْدى
إذا ما دنتْ زِدْتُ اُشتياقاً و إن نأت ... جَزعتُ لنأى الدّار منها وللبُعد[3]
أبى القلبُ إلاّ حُبَّ بَثْنةَ لا يُرد ... سواها وحُبُّ القلب بَثْنةَ لا يُجدى
سَلِى الرَّكْب هل عُجْنا لمغناك مَرةً ... صُدورَ المَطايا وهى مُوقرةٌ تَخْدِى
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها ... مِن أجلك حتى أخضلَّ من دَمعها بُرْدى
وإنِّى لأَسْتَجْرِى لكِ الطيرَ جاهداً ... لتَجرى بيُمْنٍ من لقائك أو سَعد
فهل تَجْزِينِّى أُمُّ عمرو بُودِّها ... فإنّ الذى أُخْفى بها فوقَ ما أُبدِى
وكلُّ مُحبٍّ لم يَزد فوق جَهده ... وقد زِدْتُها فى الحبّ منِّى على الجَهْد

جاء بثينة متنكراً فى زى راع

وذُكر أن جميلاً جاء إلى بُثينة، وقد أخذ لباسَ راعٍ لبعض الحىّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فأنتبذ ناحية. فسألتْه: من أنت؟ فقال: مسكين مُكاتَبٌ[4]. فجلس وحدَه، فعشَّت ضِيفانها وعشته وحدَه. ثم جلست هى وجاريةٌ على صِلائهما. واُضطجع القومُ مُنتحين. فقال جميل:

هل البائس المَقرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ ... من النار أو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها: صوت جميل والله! اُذهبى فانظُرى. فرجعت إليها فقالت: هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القومُ، فأقبلوا يَهرعون إليها، وقالوا: مالكِ؟ فطرحتْ بُرداً لها من حِبَرة فى النار، وقالت: أحترق بُردى. فرجع القومُ.

(١) فى الأغانى: «وأبيها».
(٢) فى الأغانى: «أحبوا فحالهم».
(٣) لم يرد هذا البيت ولا الأبيات التى بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى.
(٤) المكاتب: العبد يكاتبه سيده على مال يدفعه منجماً، فإن أداه أصبح حراً.

وأرسلت جاريتها إلى جميل ، فأتتها به . فحبسته عندها ثلاث ليالٍ ، ثم سلّم عليها وخرج .

واعدته بثينة ومنعها أهلها فقال شعراً

وذُكر أن بُثينة واعدت جَميلاً للالتقاء فى بعض المَواضع، فأتى لوعدها . وجاء أعرابىّ يَستضيف القوم فأنزلوه وقَرَوْه . فقال لهم : إنى قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفرٍ متفرّقين متوارين فى الشَّجر ، وأنا خائف عليكم أن يَسلّوا بعض إبلكم . فعرفوا أنه جميل وصاحباه ، فحرسوا بُثينة ومَنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسفر له الصُّبح انصرف كئيباً سيء الظن بها ، ورجع إلى أهله . فجعل نساء الحىّ يُقَرِّعنه بذلك ويقُلن له : إنما حَصلت منها على الباطل والكذب والغَدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يَحْظَى بها . فقال:

أبُثينَ إنك قد مَلكتِ فأَسْجحى ... وخُذِى بحظِّك من كَرِيمٍ واصلِ
فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدِّ تَخلطُه بقول الهازِل
فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ ... حُبِّى بُثينةَ عن وصالِكِ شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدر قُلامةٍ ... فضلاً وصلتك أو أتتكِ رسائلى
ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ فى اجتناب الباطل
ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه ... أشهَى إلىّ من البغيض الباذل
(١) لِيَزِلْ عنكِ هواى ثم يَصِلْنى ... فإذا هويتُ فما هَوايَ بزائل
صادتْ فُؤادى يا بُثينُ حِبالُكم ... يوم الحَجون وأخطأَتْك حَبائلى
مَنَّيتِنى فلويتِ ما مَنَّيتِنى ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل
وتثاقلتْ لما رأت كَلَفى بها ... أَحْبِبْ إلىَّ بذاك مِن مُتثاقل
وأطعتِ فىَّ عواذلاً فهجرتِنى ... وعَصيتُ فيكِ وقد جَهِدْنَ عواذلى
حاولنَنى لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم ... منِّى ولستُ وإن جَهَدْن بفاعل

(١) لم يرد هذا البيت وما بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى .

فرددتُهن وقد سَعَيْن بهجركم لمّا سعَيْن له بأَفْوقَ (١) ناصِل
فعَضَضْن من غيظٍ علىّ أناملاً فودِدْتُ لو يَعْضَضن صُمَّ جَنادل
ويقُلن إنّكِ يا بُثَين بخيلةٌ نَفْسى فداؤكِ من ضَنينٍ باخل

وله فى تأخرها عنه

وقال جميل ، فى وَعد بثينة إياه بالتَّلاقى وتأخّرها عنه ، قصيدةً أولها :

يا صاحِ عن بعض للَلامة أَقْصِرِ إنّ المُنَى لِلقاء أُمِّ المِسورِ
وكأنّ طارقَها على عَمَل الكَرَى والنَّجمُ وَهْناً قد دنا لتغَوُّر
يستافُ (٢) رِيحَ مُدامةٍ مَعْلولةٍ بذَكىّ مِسكٍ أو سَحيق العَنْبر

ومنها :

إنّى لأحفظُ سرَّكم ويسرُّنى لو تعلمين (٣) بصالح أن تَذكُرى
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً أو نَلتقى فيه علىّ كأشْهُر
يا ليتنى ألقَى المنيَّةَ بَغتةً إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَر
أو أستطيع تجلُّداً عن ذكركم فيُفيقَ بعضُ صَبابتى (٤) وتفكُّرى

ومنها :

لو قد تُجِنُّ كما أُجنُّ مِنَ الهَوَى لعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْذِر
والله ما للقلب من عِلمٍ بها غيرُ الظُّنون وغيرُ قَول المُخبر
لا تحسبى أنّى هجرتُكِ طائعاً حَدَثٌ لعمرُك رائعٌ أن تُهْجَرى
يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإنْ أَمُتْ يَتْبَع صَدَاى صداكِ بين الأَقْبُر
إنّى إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغَنِىِّ المُكْثِر
يَعِدُ الديونَ وليس يُنجزُ موعداً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِر

(١) الأفوق : السهم الذى به ميل فى فوقه ، وهو حيث يقع الوتر . والناصل : الذى لا نصل له .
(٢) يستاف : يشم . (٣) فى الأغانى : « إذ تذكرين » .
(٤) فى تزيين الأسواق (ص ٤٦) : « فأفيق بعد » .

ما أنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَني إلاّ كبَرقِ سحابةٍ لم تُمْطِر
قلبى نَصحتُ له فرَدّ نَصِيحتى فَمتَى أُسْمُهُ هَجْر بَثْنةَ(١) يُنْكِر

وقال أيضاً فى ذلك قصيدةً منها : وله فيها

ألا ليت رَيعان الشباب جَديدُ ودهـــراً تولّى يا بُثَين يَعُودُ
فنَغْنَى كما كُنّا جميعاً وأنتُمُ قريبٌ وإذ ما تَبْذُلين زَهِيد
ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بوادِى القُرَى إنى إذاً لسَعِيد
وهل أَلقَيَنْ فَرْداً بُثينةَ مَرّةً تَجُود لنا من وُدِّهـــا ونَجُود
عَلقتُ الهَوَى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم يَنْمِى حُبُّها ويَزيد
وأفنيتُ عُمرى بانتظارىَ وَعْدَها وأبليت فيها(٢) الدهرَ وهو جَديد
فلا أنا مَردودٌ بما جئتُ طالبا ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيد

ومنها أبيات تقدّم ذكرها ، وبعضُ ما ذكرناه تقدّم أيضاً ، وإنما ذكرته لاتصاله بما لم أذكره .

وذُكر أن جميلاً لقى بُثينةَ بعد تَهاجُر بينهما طالتْ مُدته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جميل ! أتزعم أنك تَهوانى وأنت الذى تقول : بينه وبينها

رَمى الله فى عَينَىْ بُثينةَ بالقَذَى وفى الغُرّ من أنيابها بالقَوادِح

فأطرق طويلاً يبكى ، ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تَقُودنى بُثينةُ لا يَخْفى علىّ كلامُها

فقالت : ما حَملك على هذه المُنى ؟ أوليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً !

وذُكر أنه سعت أَمةٌ لبُثينةَ بها إلى أخيها وأبيها وأخبرتهما أن جميلاً عندها هما وأبواها

(١) فى الأغانى : « فمتى هجرتيه فنه تكثرى » .
(٢) فى الأصل : « وأبلت بذاك » .

الليلةَ . فأتياها مُشتملَين على سَيفين ، فرأيا جميلاً جالساً حَجْرة [١] منها تُحدثه ويشكو إليها بَثَّه ، ثم قال لها : يا بُثينة ، أرأيت وُدِّى إياك وشَغفى بك ! ألا تَجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المُتحابَّين . فقالت : يا جميل ، أهذا تَبغى ؟ والله لقد كنتَ عندى بعيداً منه ، ولئن عاودت تَعريضاً بريبةٍ لا رأيتُ وجهك أبداً ! فضحك ثم قال : والله ما قلتُ هذا إلا لأعلم ما عندكِ فيه ، ولو أجبتنِى إليه لعلمتُ أنك تُحبين غيرى ، ولو رأيت منك مُساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما أستمسك قائمُه فى يدى ، وإن أطاعتْنى نفسى لهجرتُك هِجرةَ الأبد ، أو ما سمعت قولى :

وإنِّى لأرضى من بُثينة بالذى ... لو أستيقن [٢] الواشى لقرَّت بَلابلُه
بلاَ وبأنْ لا أستطيعَ وبالمُنَى ... وبالأمل المرجوِّ قد خاب آمِلُه
وبالنَّظرةِ العَجْلَى وبالحَوْل ينقضى ... أواخرُه لا نَلتقى وأوائله

فقال أبوها لأخيها : قُم بنا ، فما يَنبغى لنا بعد اليوم أن نَمنع هذا الرَّجل من لقائها . فانصرفا وتركاهما .

أعجب يوم له مع بثينة

وذُكر أنه اجتمع جميلٌ مع جماعة من رَهطه ذاتَ يوم يتحدّثون ، فقال له بعضهم : بالله حدِّثنا عن أعجب يومٍ لك مع بُثينة . قال : نعم ، مُنعتْ من لقائى مدةً وتعرّضتُ لها جَهدى ، فلم أصل إليها ، فبينا أنا ذاتَ ليلة جالسٌ فى خَمَر [٣] من شجرات بالقُرب من حَيِّها ، وقد أقمتُ فيها ثلاثاً أنتظرها ، فإذا بشخص قد أقبل إلىّ فجلستُ ، وانتضيتُ سَيْفى ، فلم ألبث أن غَشينى الشخص . فإذا هى بُثينة قد أكبَّتْ علىّ فالتزمتْنى ، فأدهشنى ذلك وبَقيتُ مُتحيِّراً لا أستطيع أن أُحِير جواباً

(١) حجرة : ناحية .
(٢) فى الأغانى : « لو أبصره » .
(٣) الخمر : ما سترك من شجر .

إليها ولا أُراجعها كلمةً ، حتى بَرق الصُّبح وما اُستطعت أن أُكلمها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قولَه :

أهاجك أم لا بالتَّناضُبِ[1] مَرْبعُ ... ورسْمٌ بأجراع الغَديرَيْن بَلْقَعُ
ديارٌ لليلَى[2] إذ نَحُلُّ بها معاً ... وإذ نحن منها فى المَودَّة نَطْمع
فيا ربِّ حَبِّبنى إليها وأَعطنى الـ ... ـمودة منها أنتَ تُعْطى وتَمْنع
وإلا فصبِّرنى وإن كنتُ كارهاً ... فإنِّى بها ياذا المَعارج مُولَع
فإن تَكُ قَدْ شَطَّت نَواها وقد نأت ... فإن النَّوى مما تُشِتُّ وتَجمع
جَزعتُ غداةَ[3] البَيْن لما تَحمَّلوا ... وما كان مثلى إثْر مَن بان يَجزع
وفى مِثْل ما جَرَّبت منذُ عَلِقتَها ... قنعتَ به يا قلبُ لو كنت تَقْنع
تمتعت منها يومَ بانوا بنَظرةٍ ... وهل عاشقٌ من نَظرة يتمتع
فإن يَكُ طُول الحب ياقلب نافِعى ... فقد طالما أَحْبَبْت والصبرُ أَنفع
ويا قلبُ لا تَجزع عليها فإنها ... وإن كنتَ تَهواها إلى البُخْل تَرجع
وفى الصَّبر عن بَعْض المَطامع راحةٌ ... إذا لم يكُن فى الشىء تَرجوه مَطْمع
إذا ماأتى من نحو أرضك راكبٌ ... تعرَّضتُ واستَخْبَرتُ والقلبُ مُوجع
وأَبْدَا إذا استخبرتُ عنكم بغيركم ... ليَخْفى حديثى والمُخادع يُخدع
ولست كمَن يُفشى على الخِدْن سِرَّه ... وعندى له فى الصَّدر سرٌّ ومَوْضع
وأَنسَى إذا لاقيتُها بخلائها ... من القول ماقد كنتُ بالأمس أَجمع
فما فى حياتى بعد موتكِ راحةٌ ... ولا فى وصالٍ بعد فَقدك مَطمع

عائشة وكثير فى شأنه

وذُكر أن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كُثيِّر، فأتاها ، فلما أتاها أدخلتْه إليها وقالت له : يا بن أبى جُمعة ، ما الذى يَدْعوك إلى أن تقول فى عزَّة من الشعر ما قُلتَ ، وليست من الحُسن على ما تَصف ، ولو شِئتَ صرفتَ ذلك عنها إلى

(١) التناضب : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل » . وهذه القصيدة لم ترد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) فى الديوان : « لسلمى » . (٣) فى الديوان : « حذار » .

غيرها ممن هى أولى به منها ، أنا أو مثلى ، فإننى أشرف وأجمل وأوصل من عَزّة . وإنما أرادت أن تختبره بذلك . فقال :

إذا ما أرادت خَلّةٌ أن تُزيلَنا أبَيْنا وقُلنا الحاجبيّةُ أوّلُ
لها مَنْهلٌ لا يُستطاع دِرَاكه وشائعةٌ فى الحُب لا تتحوّل

فقالت عائشة: أخطأت اُستُك الحُفرة يا أبا صخر! لقد سمَّيتنى خَلّة، وما أنا لك بخلّة! وعرضتَ علىّ وصلك وما أُريده ، ولو أردتَه لكرهتُه أنا! وإنما أردتُ أن أبلو ما عندك قولاً وفعلا ، فما أفلحتَ ولا أنجحت! هلاّ قلت كما قال سيِّدك جميل:

ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ منها فهل لك فى اُجتناب[1] الباطلِ
ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه أشهى إلىّ من البَغيض الباذل

ليلة له مع بثينة

وذُكر أن جميلاً رَصد بُثينةَ ذات ليلة فى نُجعة لهم ، حتى إذا صادف منها خلوة تنكَّر ودنا منها ، وذلك فى ليلة ظلماء ذات غَيم و رَعد و ريح ، فحَذفها بحصاةٍ ، فأصابت بعضَ أترابها ، ففزعتْ وقالت : والله ما حَذَفنى فى هذا الوقت بحَصاة إلا الجِنُّ! فقالت لها بُثينة ، وقد فطنت : إن جميلاً فعل ذلك ، فاُنصرفى ياأُخية إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت. وبقيت مع بُثينة أُم الجُسير ، وأُم منظور . فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباء معها وتحدّثا طويلا ، ثم اُضطجع واُضطجعت إلى جنبه ، فذهب النومُ بهما حتى أصبحا . وجاءها غلامُ زوجها بصَبُوح من اللبن بَعث به إليها ، فرآها نائمةً مع جميل ، فمضى لوجهه حتى يُخبر سيِّده ، و رأته ليلى والصَّبوحُ معه ، وقد عَرفت خَبر جميل و بُثينة ، فاُستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله ، و بعثت بجارية لها وقالت: حَذِّرى جَميلاً و بُثينة . فجاءت الجارية فنبَّهتْهما . فلما تبيَّنت بُثينةُ الصبحَ قد أضاء والناسَ مُنتشرين، اُرتاعت وقالت : ياجميل ، نفسَك! نفسَك! قد جاء غلام نُبيه بصَبوحى من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل، وهو غير مُكترث لما خوَّفته منه:

(١) فى الديوان : « فى اعتزال » .

لَعُمرك ما خَوَّفتِنِي من مَخَافَةٍ بُثَين ولا حذَّرتنى موضعَ الحَذَرْ
وأُقسم لا تُلقَى لِيَ اليومَ غِرَّةٌ وفى الكَفِّ مِنِّى صارمٌ قاطعٌ ذَكَر

فأقسمتْ عليه أن يُلقى نَفْسه تحت النَّضد ، وقالت : إنما أسألك ذلك خوفاً من الفضيحة لا خوفاً عليك . ففعل ذلك ونامت كما كانت . واضطجعت أم الحُسين إلى جانبها . وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر . فتركت العبدَ يمضى إلى سيّده . فمضى والصَّبوح معه ، فقال : إنِّى رأيتُ بثينة مُضطجعة مع جَميل . فجاء زوجُها إلى أبيها وأخيها فأخذ بأيْديهما وعَرَّفهما الخبر . وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهى نائمة ، فكشفوا عنها الثَّوب ، فإذا أُم الحُسين إلى جَنبها نائمة . فخَجل زوجُها وسبَّ عَبده . وقالت ليلى لأخيها وأبيها : قَبَحكم الله ! أفى كُل يوم تَفضحان فتاتكما ويَلقاكما هذا الأعورُ بكُل قبيح ! قَبحه الله وإياكما ! وجَعلا يُسبَّان زَوجها ويقولان له كُل قبيح . وأقام جميلٌ عند بُثينة حتى أَجَنَّه الليل ، ثم ودّعها وانصرف . وحَذرتْهم بُثينةُ فتحامت جميلاً مُدة . فقال فى ذلك :

أأن هَتفتْ وَرْقاء ظَلْتَ سَفَاهةً تُبَكِّى على جُملٍ لوَرْقاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لى بالصَّرم يا صاحِ طاقةٌ صَرمتُ ولكنِّى عن الصَّرم أَضعف
وما ذكَرتْكِ النّفس يا بَثْنُ مَرةً مِن الدَّهر إلا كادتِ النفسُ تَتلف
وإلاّ أعترتْنى زَفرةٌ واستكانةٌ وجاد لها سَجْلٌ من الدَّمع يَذْرِف
وما استطرفتْ نَفْسى حديثاً لخُلَّةٍ أُسَرُّ به إلّا حديثُكِ أَظرف

وأول هذه القصيدة :

أمن منزلٍ قَفر تَعفّت رُسومَه شَمالٌ تُغادِيه ونَكْباءُ[1] حَرْجَفُ
فأصبح قَفْراً بعد ما كان آهلاً وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو به وتُصَيِّف

(١) النكباء : الريح انحرفت عن مهب الريح القوم ووقعت بين مهب ريحين . والحرجف : الباردة .

ظَلِلْتُ ومُستَنٌّ(١) من الدَّمع هامِلٌ ... من البَين لما عُجْتُ بالدَّار يَنْزف
أمُنْصِفَتى جُمْلٌ فتَعـــدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِف
تعلَّقتُهـــا والجسمُ منِّى مَصحَّحٌ ... فما زال يَنْمى حُبُّ جُمْل وأَضْعُف
إلى اليوم حتى سَلَّ جِسمى وشَفَّنى ... وأنكرتُ من نفسى الذى كنتُ أَعرف
فتـاةٌ من المُرّان(٢) ما فوقَ حَقْوها ... وما تحتـــه منها نَقًا يتقصَّف
ولستُ بناسٍ أهلَها حين أَقبـــلوا ... وجالوا علينا بالسُّيوف وطَوَّفوا
وقالوا جميلٌ بات باللَّيل عنـــدها ... وقد جَرَّدوا أسيافَهم ثم وقَّفوا
وفى البيت لَيْثُ الغابِ لولا مَخافةٌ ... على نَفس جُمْلٍ والإلٰه(٣) لأُرْعِفوا
هممتُ وقد كانتْ مِراراً تَطلَّعت ... إلى حَربهم نَفسى وفى الكَفِّ مُرهَف
وما سَرّنى غـــيرُ الذى كان منهمُ ... ومنِّى وقـــد جاءوا إلىَّ وأَوْجَفوا
وكم مُرْتَجٍ أمراً أُتيح له الرَّدى ... ومن خائفٍ لم يَنْتَقصْه التَّخوُّف

بيت له نصفه أعرابى ونصفه مخنث

وحكى الهيثم بن عدىّ قال :

قال لى صالح بن حسَّان : هل تَعرف بيتاً نصفُه أعرابىّ فى شَملة وآخرُه مُخنث يتفكَّك من مُخَنَّثى العَقيق ؟ فقلت : لا أدرى . فقال : قد أجَّلتُك فيه حولاً . فقلت : لو أجَّلتنى حَوْلَين ما علمتُ . فقال : قولُ جميل :

ألا أيُّهـــا النُّوَّام ويحكُم هُبُّوا ... أسائلكم هل يقتُل الرجُلَ الحُبُّ

* ألا أيّهـا النُّوام ويحكم هُبـــوا *

هذا أعرابى فى شَملة . ثم قال :

* أسائلكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ *

(١) مستن : منصب .
(٢) المران : الرماح .
(٣) أرعفوا : أعجلوا .

كأنه والله من مُخَنّثى العَقيق .

و بعد هذا البيت :

ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفعتُ[1] وَجِيفَهم إليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

علقت حجنة فجفاها

وذُكر أن بُثَيْنة علقت حُجْنة الهِلالىّ ، فجفاها جميلٌ وقال فى ذلك :

بَيْنا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبُثْنَةٍ أُتيح لها بعضُ الغُواة فحلَّها

فعُدْنا كأنا لم يكن بيننا هَوًى وصار الذى حَلَّ الحبالَ هَوًى لها

وقالوا نراها يا جميلُ تبدَّلتْ وغيَّرها الواشى فقلتُ لعلّها

[2] وذُكر أن حُجنة الهلالى كان ابن سُرِّيَّة[3] . فلمّا عَلقتْه بثينةُ قال لها: لأرضى أو تُعلمى جميلاً أن قد اُستبدلتِ به . فجاءها جميل ، فقالت :

ألم ترَ أن الماء غُيِّر[4] حاضراً وأن شِعاب القلب بعدك حُلّتِ

فقال جميل :

فإن تَكُ حُلَّت فالشِّعاب كثيرةٌ وقد نَهلتْ منها قَلوصِى وعَلَّت

فقالت بُثينة لحُجنة : عَرَّضتنى لجميل فجعلنى حديثاً و يُسَمِّع بى ! لا أُطيعك فيه بشىء بعد هذا أبداً . وقالت لجميل : إنه اُستزلّنى ، فأَنشدك الله أنْ تكشف ما تحت ثَوبى وتذكره ، فإنها كانت هفوة ، وأترك تعفوه الرّياح أحبّ إلىّ منه .

وقال جميل :

يا بَثْنُ إن واصلتِ حُجنة فاُصرِمى حبالِى و إن صارمتِه فصِلينِى

ولا تَجعلينى أُسوةَ العبد واُجعلى مع العَبد عبداً مثلَه وذَرِينى

رأيت بعينىَّ اليقين فما الذى يُعَمِّى على عَينىّ بعد يَقين

(١) الوجيف : سرعة السير . (٢) هذا خبر لم يرد فى أصول الأغانى .

(٣) السرية : الجارية المتخذة للملك والجماع .

(٤) فى الديوان : « بعدكم » مكان « حاضرا » .

وأظن هذا من قصيدة ، منها :

لحا اللهُ من لا ينفع الوُدُّ عنده ... ومَن حَبْلُه إن مُدّ غير متين
ومَن هو ذو لَونين ليس بدائم ... على العهد خَوّانٍ لكُل أَمين

كثير والنهدى فى شأنه

وحكى أبو مالك النَّهدى قال :

جلس إلينا كُثيِّر ذاتَ ليلة ، فتذاكرنا جميلاً فقال : لَقِيني مرةً فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحَبيبة — أعنى بُثينة — فقال لى : وإلى أين تَمضى ؟ فقلتُ : إلى الحبيبة — أعنى عزة — فقال : لا بُدَّ من أن ترجع عَوْدَك على بدئك فتستجدّ لى موعداً من بُثينة . فقلت : عهدى بها الساعةَ وأنا أستحى أن أرجع . فقال : لا بُدَّ من ذلك . فقلت له : فمتى عهدُك ببُثينة ؟ قال : فى أول الصَّيد[1] ، وقد وقعت سحابةٌ بأسفل وادى الدَّوم ، فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تغسل ثياباً ، فلما أبصرتْنى أنكرتْنى ، فضربتْ بيديها إلى ثوب فى الماء فالتحفتْ به . وعرفتْنى الجاريةُ ، فأعادت الثوب فى الماء ، وتحدَّثنا حتى غابت الشمس . فسألتُها الموعد ، فقالت : أهلى سائرون . وما لقيتُها بعد ذلك ولا وجدتُ أحداً آمنه فأُرسلَه إليها . فقال كثيّر : فهل لك أن آتىَ الحَىّ فأقول أبياتاً من الشعر أذكر فيها هذه العلامةَ ، إن لم أَقدر على الخَلوة بها ؟ قال : ذلك الصوابُ . فخرج كُثيِّر حتى أَناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدَّك يا بن أخى ؟ قال : قلت أبياتاً عرضتْ فأحببتُ أن أَعرِضها عليك . قال : هاتِها . قال كُثيِّر . فأنشدتُه ، وبُثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عَزُّ أُرْسِلُ صاحبى ... إليكِ رَسُولاً والمُوكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تَجعلى بينى و بينك موعداً ... وأن تأمُرينى بالذى فيه أفعل
وآخِرُ عَهدى منكِ يومَ لَقيتنِى ... بأسفل وادى الدَّوْم والثوبُ يُغْسَل

(١) فى الأصل : « الصيف » .

فضربت بُثينةُ جانب خِدرها وقالت : أُخسأ ! أُخسأ ! فقال لها أبوها : مَهْيَم[1] يا بُثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوَّم الناسُ من وراء الرَّابية . ثم قالت للجارية : أبغينا من الدَّومات حَطَباً لنَذبح لكُثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كُثيِّر : أنا أعجل من ذلك . وراح إلى جَميل فأخبره . فقال له جَميل : المَوعد الدَّومات . وقالت بُثينة لأُم الحُسين وليلى ، ونُجَيّا ، بنات خالتها ، وكانت قد أنِست بهن واطمأنت إليهن : إنى قد رأيتُ فى لحن[2] كُثيِّر أن جميلاً معه . وخرج كثيِّر وجميل حتى أتيا الدَّومات . وجاءت بُثينة ومَن معها ، فما بَرحوا حتى بَرق الصُّبح . فكان كثيِّر يقول : ما رأيت مجلساً قطُّ أحسن من ذلك المَجلس ، ولا مثل عِلْم أحدهما بِضَمير صاحبه ، وما أدرى أيهما كان أفهم .

تهاجرا زمناً ثم اصطلحا

وذُكر أنه وقع بين جَميل و بُثينة هَجْر فى غَيرة كان غارها عليها من فتًى كان يتحدَّث إليها من بنى عمّها ، وكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيشُق ذلك على بُثينة وعلى جميل ، وجعل كل واحد منهما يكره أن يُبدى لصاحبه شأنه . فدخل يوماً ، وقد غلبه الأمر ، إلى البيت الذى كان يجتمع فيه مع بُثينة ، فلما رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له . فجزِع لذلك جميل ، وجعل كُل واحدٍ منهما يطالع صاحبه . وقد بلغ الأمر من جميل كُل مبلغ ، فأنشأ يقول :

لقد خِفْتُ أن يغتالنى الموتُ غَفْوَةً ... وفى القَلْب[3] حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا

وإنِّى لتَثْنينى الحفيظةُ كلما ... لقيتُك يوماً أن أبُثَّكِ[4] حاليا

ألم تعلمى يا عَذْبَةَ الرِّيق أننى ... أَظَلُّ إذا لم أُسْقَ ريقَك صادِيا

(١) مهيم : ما أمرك ؟ وما شأنك ؟ وما الذى أرى بك ؟ يمانية .

(٢) فى الأغانى : « فى نحو نشيد » .

(٣) فى الأغانى : « وفى النفس » .

(٤) فى الأغانى : « مابيا » مكان « حاليا » .

فرقّت له بُثينةُ وقالت لمولاة لها كانت معها : ما أحسنَ الصِّدق بأهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أنشدنى قولك :

تَظَلُّ وراء السّتر تَرْنو بلَحْظها إذا مَرّ من أترابها مَنْ يَرُوقها

فأنشدها إياه . فبكتْ وقالت : كلّا يا جميل ، ومَنْ ترى يَرُوقنى غيرك ؟

موته وحزن بثينة عليه

وحكى بعضهم قال :

خرجتُ من تَيماء فى أغباش السَّحر ، فرأيتُ عجوزاً على أتان ، فتكلّمتْ ، فإذا أعرابيةٌ فصيحة . فقلتُ : من أنت ؟ قالت : عُذْرية . فأجريتُ ذِكْر جَميل و بُثينة . فقالت : والله إنّا لَعلى ماء لنا بالجناب ، وقد تنكّبنا الجَادَّةَ لجُيوشٍ كانت تأتينا من قِبل الشأم تُريد الحجاز ، وقد خَرج رجالُنا لسَفرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً ، فانحدروا ذاتَ عشية إلى صِرْم[1] قريبٍ منّا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يَبْق غيرى وغيرُ بُثينة ، إذ انحدر علينا مُنحدر من هَضْبة تِلْقاءنا ، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فردَدْتُ السلام عليه ، فإذا جميل . فقلتُ : أجميل ؟ فقال : إى والله ، فإذا به لم يتماسك جُوعاً . فقمتُ إلى قَعْبٍ[2] لنا فيه أَقِط[3] مطحون ، و إلى عُكّة[4] فيها سَمْن ورُبٌّ[5] ، فعصرتُها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلت : أصِبْ من هذا . فأصاب منه . وقمتُ إلى سقاء فيه لَبن فصببتُ عليه ماء بارداً . فشَرب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلتُ له : لقد تعبتَ ولقيت شرًّا ، فما أمرك ؟ فقال : أنا والله فى هذه الهَضبة التى تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَريم ، أنتظر أن أرى فُرْجة ، فلما رأيتُ مُنْحدرَ فِتيانكم أتيتُكم لأُودّعكم ، وأنا عائد إلى مِصر .

(١) الصرم : الجماعة من الناس .
(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ .
(٣) الأقط : اللبن المجفف اليابس .
(٤) العكة : زق صغير للسمن .
(٥) الرب : ما يطبخ من التمر .

قالت : فتحدَّثنا ساعةً ثم ودَّعنا وشَخص . فلم تَطُل غيبتُه أن جاءنا نَعيُه . فزَعموا أنه حين حضرتْه الوفاةُ قال :

صَدَع[1] النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمِصْرَ ثَواء غيرِ قُفُولِ
ولقد أجُرُّ الذَّيل فى وادى القُرى ... نَشْوانَ بين مَزارع ونَخيل
قُومى بُثينةُ فاُندُبِى بعَويل ... واُبْكِى خليلَكِ دون كُلِّ خَليل
[2] بَكر النعيُّ بفارسٍ ذى بَهجة ... حُلْو الشمائل للرجال قَتُول
بَكر النعيُّ ولستُ أبغى فاُعلمى ... غيرَ المُهذَّب يا بُثين جَميل

وحكى الأصمعى قال :

حدثنى رجلٌ شهد جميلاً لما حضرتْه الوفاةُ بمصر ، أنَّه دعاه فقال : هل لك أن أُعطيك كُلَّ ما أُخلِّفه على أن تفعل شيئاً أَعهده إليك ؟ قال : فقلتُ : اللهم نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذ حُلَّتى هذه التى فى عَيبتى فاعْزِلْها جانباً ، وكُل شىء سواها هو لك ، واُرحل إلى رَهط بنى الأحبّ من عُذْرَة ـ وهم حى بُثينة ـ فإذا صرتَ إليهم فاُرتحل ناقتى هذه واُركبها ، ثم اُلبس حُلَّتى هذه واُشقُقها ، ثم اُعْلُ على شَرف وصِح بهذه الأبيات ، وخَلاكَ ذَمٌّ . وأنشدَنى :

صَدعَ النَّعيُّ وما كَنَى بجَميلِ ... وثوى بمِصْر ثَواء غيرِ قُفُولِ

وذكر الأبيات المُتقدّمة .

قال : فلما قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهط بُثينة ففعلتُ ما أمرنى به جميل ، فما استتممتُ الأبيات حتى برزتْ لى اُمرأةٌ يتبعها نسوة ، وقد فرعتْهن طولاً أمامهن ، كأنها بدرٌ قد بَرق فى دُجُنَّة ، وهى تَتعثَّر فى مِرْطها[3] ، حتى أتتنى .

---

(١) صدع : جهر وصرح . (٢) هذا البيت والذى بعده لم يردا فى أصول الأغانى . وروايتها فى الديوان تختلف عنها هنا فى كثير . (٣) المرط : كساء من الصوف .

فقالت : يا هذا ، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتنى . قلت : والله ما أنا إلّا صادق . وأخرجتُ عَيْبته . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها ، وصكّت وَجْهها . فاجتمع نساء الحىّ يَبْكين وهى تندُبه ، حتى صَعِقتْ ، فمكثتْ مغشيًّا عليها ساعةً ، ثم أفاقت وقامت وهى تقول :

وإن سُلُوِّى عن جميل لساعةٌ ... من الدَّهر ما آنت[1] ولا حان حِينُها

سواء علينا ياجميل بن مَعْمَرٍ ... إذا مُتَّ بأساء الحياةِ ولينُها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار جميل ، هو :

رَحَل الخليطُ جِمالَهم بسَوادِ ... وحَدَا على إثْر البَخيلةِ حَادِى

ما إن شَعرتُ ولا علمتُ ببينهم ... حتى سمعتُ به الغُرابَ يُنادى

(١) فى الأغانى : « ما حانت » .

أخبار يزيد بن الطثرية

نسبه

اختلف فيه فقيل : يزيد بن الصِّمّة ، أحد بنى سَلَمة الخير بن قُشَير .

وقيل : إنه من ولد الأعور بن قُشير .

وقيل : هو يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قُشير بن كَعب بن رَبيعة ابن صَعصعة .

وإنما قيل لجدّه سلمة الخير ، لأنه كان لقُشير ابنٌ آخر يقال له : سلمة الشر .

وقيل : هو يزيد بن المُنتشر بن سَلَمة .

نسب أمه

والطَّثْرية أُمه ، وهى امرأةٌ من طَثْر . وهم حَىٌّ من اليمن ، عِدادهم فى جَرْم .

وقيل : إن طَثْراً من عَنْز بن وائل بن قاسط .

وقيل : إن الطَّثرية ، أُم يزيد ، كانت مُولعة بإخراج زُبد اللَّبن ، فسُمِّيت الطَّثرية . وطَثرة اللَّبن : زُبدته .

كنيته ولقبه

ويكنى يزيدهذا : أبا المَكْشوح . وكان يلقَّب : مُودِّقاً ، لُحسن وجهه وحُسن شَعره وحلاوة حديثه . فكانوا يقولون : إنه إذا جَلس بين النِّساء أَودَقَهُنّ (١) . وكان يتحدّث إلى النساء كثيراً . وذُكر أنه كان عنِّينا .

هو وميادمع نساء الحيين

وحُكى أن الناس أمحلوا سنةً ، فأقبل جَمعٌ من بنى جَرْم سَاقتْهم السنةُ والجَدب من بلادهم إلى بلاد بنى قُشير ، وكان بينهم وبين بنى قُشير حَرب عظيمة ، فلم يَجدوا بُدًّا من أن رَمَوْا بأنفسهم إليهم ، لمَا لحقهم من الجَدب والمجاعة ورقَّة الأحوال ، وأشرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الرَّبيع فى بلاد بنى قُشير ، فأُنتجعها

---

(١) أودقهن : أى فتنهن بجماله وحلاوة حديثه .

الناسُ وطَلَبوها . فلما لقيت بنو جَرم قُشيراً نصبت قُشيرٌ لهم الحرب . فقالت لهم بنو جرم : إنما جئنا مُستجيرين غيرَ مُحارِبين . فقالوا : ممّا ذا ؟ فقالوا : من السنة والجَدب والهلكة التى لا باقية لها . فأجارتهم قُشير وسالمتهم وأَرْعتهم طَرَفاً من بلادها . وكان فى جَرم فتًى يقال له : مَيّاد ، وكان غَزِلاً حسن الوجه تامَّ القامة آخذاً بقُلوب النساء . وكان الغَزل فى جَرْم جائزاً حَسنا ، وهو فى قُشير مكروه . فلما نازلتْ جَرم قُشيراً وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرمى فغدا إلى القُشيريّات يطلبُ منهن الغَزل والصِّبَا والحديث ، واستبرازَ الفَتيات عند غِيْبة الرِّجال واشتغالِهم بالسَّقى والرِّعْية، وما أشبه ذلك . فدفعنَه عنهن وأسمعنه ما يكره . وراحت رجالهن عليهن وهن مُغضبات . فقالت عجائز منهن : والله ما ندرى : أأرعيتُم جَرْماً المَراعى أم أرعيتُموهم فتياتكم ! فاشتدّ ذلك عليهم وقالوا : ماذا كُنّه [1] ؟ قُلن : رجلٌ منذ اليوم ظَلَّ مُحْجِراً لنا ما يطلُع منّا رأسُ واحدة ، يدور بين بيوتنا . فقال بعضُهم : بيِّتوا جَرْماً فاصْطلموها [2] . وقال بعضُهم : قبيح ! قومٌ قد سَقَيتموهم مناهلَكم [3] ، وأرعيتموهم مراعيَكم ، وخَلطتموهم بأنفسكم ، وأجرتموهم من القَحط والسنة ، تفتاتُون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ، وأَصْبِحُوا [4] وتقدَّموا إلى هؤلاء القوم فى هذا الرَّجل ، فإنه سَفيه من سُفهائهم، فَليأخذوا على يديه ، فإن يفعلوا فأتِمُّوا لهم إحسانكم ، وإن يَمتنعوا ويُقرُّوا ما كان منه ، فذاك يَحلُّ [5] لكم البَسْطُ عليهم وتَخرجُوا من ذمّتهم . فأجمعوا على ذلك . فلما أصبحوا غدا نَفرٌ منهم إلى جَرم فقالوا : ما هذه الرِّعية التى جاورتمونا بها ! إن كانت هذه الرِّعية [6] لكم سجية فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء ، فبرِّزوا عنّا أنفسكم وأْذَنوا بحرب . وإن كان افتئاتاً فغيِّروا [7] على مَن فعله . فقام نفرٌ من جرم

(١) فى أصول الأغانى : «ما أدراكنه» . (٢) اصطلموها : استأصلوها . (٣) فى الأغانى : «مياهكم» .
(٤) فى الأغانى : « ولكن تصبحوا » . (٥) فى الأغانى : « منه يحل » .
(٦) فى الأغانى : « البدعة » . (٧) أى ازجروه وأنكروا عليه .

فقالوا : وما هذا الذى نالكم ؟ قالوا : رجل منكم أمسِ ظلّ مجرِّراً أذيالَه بين بُيوتنا ، ما كان أمره ؟ فقهقهت جرَم من جفاء القُشيريين وعَجْرفيّتها ، وقالوا : إنكم لتُحسُّون من نسائكم ببلاء ، وإلا فابعثوا إلى بُيوتنا رجلاً ورجلا . فقالوا : والله مانُحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والكَرم ، ولكن فيكم الذى قلتم ! قالوا : فإنّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بنى قُشير إذا غَدت الرجال وأُخلف النِّساء ، وتَبعثون رجلاً إلى بُيوتنا ، نتحالف أنه لا يتقدَّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا إلى أُخت ولا أُبنة ولا يُعلمها بشىء مما دار بيننا ، فيظلّ كلاهما فى بُيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عشاءً الماء ، وتُخلَى لهما البيوت ، ولا تبرز عليهما أُمرأة ولا تُصادق منهما واحداً إلا بمَوْثق يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . فقالوا : اللهم نعم . فظلّوا يومَهم ذلك وباتُوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد تواعدوا الماء ، وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيت منهم أحد دون الليل . وغدا ميّاد الجَرمىّ إلى القُشيريات ، وغدا يزيد بن الطَّثْرية إلى الجَرميات ، فظل عندهن بأكرم مَظَلّ ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا أفتتنت به وبايعتْه على المودة والإخاء ، وقَبض منها رهناً ، وسألتْه ألاّ يدخل من بُيوت جَرم إلاّ بيتَها . فيقول لها : وأىّ شىء تَخافين وقد أخذتِ منّى المواثيق والعُهود ، وليس لأحد بعدك فى قلبى نصيب . حتى صُلِّيت العصر وأنصرف بأشياء كثيرة ، من ذُبول وبَراقع وفَتَخ[1] وغيرها . وأنصرف مكحولاً مدهوناً شَبعان ريّانُ مرجَّل الجُمَّة[2] . وظل ميّاد الجَرمىّ يدور بين القُشيريات مَرْجوماً مَقْصيًّا لا يتقرّب إلى بيت إلا أُستقبلتْه الولائد بالعَمَد والجَندل . فتهالك لهن وظَن أنه تلاعبٌ منهن معه ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجَندل .

---

(١) ذبول : جمع ذبل ، وهو جلد السلحفاة . وقيل : عظام بعض دواب البحر ، تتخذ منه النساء الأسورة والأمشاط . والفتخ : جمع فتخة ، وهى الحلقة من فضة لا فص لها ، وإلا فهى الخاتم .

(٢) الجمة : الشعر تجاوز المنكبين .

ورأى البَأس منهن وجَهَده العطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمُرةٍ [١] قريباً من نصف النهار ، فتوسّد يَده ونام نوَيمةً تحتها حتى أَفرجت عنه الظهيرةُ ، وفاءت الأظلال ، وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب ، و بَرد عطشُه قليلاً ، ثم ورد الماء حتى قَرُب من القوم قبل يزيد بن الطَّثرية . فوجد أَمةً تَذُود غنماً فى العَطن ، [٢] فأخذ بُرْقعها فقال : هذا بُرقع واحدة من نسائكم ، فطرحه بين يدى القوم . وجاءت الأَمة تعدوا فتعلّقت ببُرقعها ، فردّه عليها ، وخَجل ميّاد خجلاً شديداً . وجاء يزيد بن الطَّثْرية مُمسياً ، وقد كاد القوم أن ينصرفوا ، فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وذَبْلا وفتَخا. وقد حَلف القومُ ألاّ يعرف رجلٌ شيئاً إلا رَفعه. فلما نَثر ما معه أُسودّت وجُوه جَرم وأمسكوا بأيديهم إمساكةً . فقالت قُشير : أنتم تعرفون ما كان أَمسِ بيننا من العُهود والمواثيق وتحريم [٣] الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف إلى حَرام فَلْيُمسك يده . فبسط كُل واحدٍ منهم يده إلى ماعَرف وأخذه ، وتفرّقوا على حَرب ، وقالوا : هذه مكيدة يا قُشير ! فقال فى ذلك يزيد بن الطثرية :

فإنْ شئتَ يا ميَّاد دُرْنا [٤] ودُرْتُمُ ... ولم نَنْفس الدُّنيا على من يُصيبُها
أيذهب ميّاد بألباب نِسْوتى ... ونسوةُ ميّاد صِحاحٌ قُلوبها

حبه وحشية ومعونة ابن عمه له

وقيل :

و بُلى يزيد بن الطّثرية يومئذ بعشق جارية من جَرم ، يقال لها: وحشية، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جرم فلم يَجد إليها سبيلا . فصار من العشق لها إلى أن أشرف على الموت واشتدّ به الجَهد ، فجاء إلى ابن عم له، فقال له : يابن العم،

(١) السمرة : من شجر العضاه .
(٢) العطن : المناخ حول الورد .
(٣) فى الأغانى : « وتحرج » .
(٤) فى الأغانى : « زرنا وزرتم » .

قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة من سبيل ، وأن التعزّى أجمل ، فما أربُك فى أن تقتل نفسَك وتأثم بربِّك ؟ فقال : ما هى يا بن العم بنفسى ، ومالى فيها أمر ولا نهى ، وما همِّى إلا نفس الجَرمية ، فإن كنت تُحب حياتى فأرنيها . فقال : كيف الحِيلة ؟ قال : تحملنى إليها . فحمله إليها ، وهو لا يطمع فى الجَرْمية ، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له : نَذهب بك إلى وَحْشية ، أَبلّ قليلاً وراجع وطَمع . فإذا يئس منها اشتدّ به الوجع . فخرج به ابن عمِّه يتخلّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل إلى قبيلة انتسب إلى أُخرى ، ويُخبر أنه طالب حاجة . وأَبلّ حتى صلَح بعض الصَّلاح ، وطَمع فيه ابنُ عمِّه ، وصارا بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقيا الرُّعيان ، فكَمَنا فى الجبل ، فجعل ابنُ عمّه ، وهو خَليفة بن بورك[1] يتعرّض لرُعيان الشاه فيسألهم عن راعى وحشيّة ، حتى لَقى غُلامَها وغَنمها ، فسأله عنها ، فقال : هى بشرّ ، لا حَفِظ الله بنى قُشير ولا يوماً رأيناهم فيه ! فما زالت عليلةً منذ رأيناهم . وكان بها طَرَفٌ مما بيزيد ابن الطَّثْرية . فقال : ويحك ! فهاهنا إنسان يُداويها ولا تَقْتُل لأحدٍ غيرها . فقال : نعم ، إن شاء الله . فأَعلمها ما قال له الرجُل حين صار إليها . فقالت : ويلك ! فجىء به . وخَرج الراعى من الغَد فلقيه فأعلمه . وظَلّ عنده يَرعى غَنمها ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدَّمته الشاء وجَنح الليل ، وانحدر يزيد فى غَنمه حتى أَراحها . ومَشى فيها يزيدُ حتى قَرُب من البيت على أربع ، وتجلَّل شملةً سوداء بلون شاةٍ من الغَنم ، وصار إلى وحشيّة ، فسُرّت به سُروراً شديداً ، وأَدخلته ستراً لها ، وجَمعت عليه من الغد من تَثق به من صواحباتها وأَترابها . وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يُقيم فى الجبل ثلاث ليالٍ ، فإن لم يرَه فلْينصرف . فأقام يزيدُ عندها ثلاث ليالٍ ، ورَجع إلى أصَحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه ، فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نَفسه ما سَرّه . فقال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بوزل » .

لَوَ انَّك شاهدتَ الصِّبا يا ابن بَوْرِكٍ بفَرْع الغَضى إذ راجعتنى [1] غَياطُلُهْ
لشاهدتَ لَهواً بعد شَحْطٍ من النَّوى على سَخَطِ الأعداء حُلْوًا شمائلُه
ويوماً كإبهام القَطاةِ مُزَيَّناً لِعَينى ضُحاه غالباً لِى [2] أصائلُه

ومنها :

بِنَفسىَ مَن لو مَرّ بَرْدُ بَنانه على كَبِدى كانت شِفاءً أنامُلُه
ومَن هابنى فى كُل شىء وهِبْتُه فلا هو يُعطينى ولا أنا سائِلُه

وذُكر أن أبا محيصة [3] الأعرابى أنشد هذين البيتين فطَرِب بهما وقال : هذا والله من مغنج الكلام !

ومنها :

وكنتُ كأنِّى حين كان كلامُها وَداعاً وخَلِّى مَوْثِقَ العهدِ حامِلُه
رهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُه عن الساقِ حتى جَرَّد السيفَ قاتله
فقال دَعُوا لى [4] سَجْدَتَيْن وأرْعدت حِذارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفاصله

شعره فى امرأة ذات سبعة

وذُكر أنّ يزيد بن الطَّثْرية كان يتحدّث إلى امرأة ويُعْجَب بها ، فبَيْنا هو عندها إذا حَدَث لها شابٌّ قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن ، فقال :

أرى سبعةً يَسْعَوْن للوَصْل كُلُّهم له عند ليلَى دِينةٌ يَسْتَدِينُها
فألقيتُ سَهْمى وَسْطَهم حين [5] أوْخَشوا فما صار لى من ذاك إلا ثَمينُها

(١) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظلمة المتراكمة .
(٢) فى الأغانى : « لى باطله » .
(٣) فى الأغانى : « أبا محضة » .
(٤) فى الأغانى : « دعونى » .
(٥) أوخشوا : صاروا إلى الوخاشة ، وهى الرذالة .

وكنتُ عَزُوفَ النَّفس أَشْنأُ أن أُرَى ... على الشِّرك مِن وَرْهاء[1] طَوْع قَرِينُها
فيوماً تراهـا للعُهود وفيّـةً ... ويوماً على دين ابْن خاقانَ دِينُها
يداً بيـدٍ مَن جاء بالعَـين منهمُ ... ومَنْ لم يَجِىء بالعَين حِيزتْ رُهونها

وقال فيها ، وقد صارَمها :

ألاَ بأَبى مَن قد بَرى الجسمَ حُبُّه ... ومَن هُـو مَوموقٌ إلىّ حبيبُ
ومَن هو لا يَزداد إلاّ تَشُـوُّقاً ... وليس يُرَى إلاّ عليـه رَقِيب
وإنِّى وإنْ أَحْمَوْا[2] علىّ كلامَها ... وحالت أعادٍ دونها وحُروب
لَمُثْنٍ على ليـلَى ثنـاءً[3] تَزينه ... قوافٍ بأَفـواه الرِّجال تَطيب
أليلَى أحذرى نَقْضَ القُوى لا يَزلْ لنا ... على النَّأى والهِجران منكِ نَصيب
وكُونى على الواشـين لَدَّاءَ شَغْبةً ... كما أنَا للـواشِى أَلَدُّ شَغُوب
فإنْ خِفْتِ ألا تُحكِمِى مِرَّةَ القُوَى ... فرُدِّى فُؤادى والمَرَدُّ[4] قَرِيب

شعره وقد حلق الوالى لمته تأديباً له

وذُكر أن يزيد بن الطَّثْرية لما أَكثر التَّشبيب فى وَحشية الجَرمية، أُستعدتْ عليه جَرمٌ صاحبَ اليمامة . فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثور أخى يزيد وأَمره بأدبه ، وجعل عُقوبته حَلْقَ لِمَّته ، فحلقها . فقال يزيدُ من أبيات :

أقول لثَوْرٍ وهـو يَحلِق لِمَّتى ... بحَجْناء مَرْدودٍ عليهـا نِصابُهـا
ترفَّق بهـا يا ثَور ليس ثوابُهـا ... بهذا ولـكنْ غيرُ هـذا ثوابها
ألاَ ربما ياثَور قد غَلَّ[5] وَسْطها ... أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها

---

(١) الورهاء : الحمقاء . وطوع قرينها ، أى إن قرينها يطيعها ، ولا تخضع هى لقرين ، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت ، فقرينها يطيعها وهى لاتطيع قريناً .

(٢) أحموا : حرموا ومنعوا .

(٣) فى الأغانى : « يزيدها » مكان : « تزينه » .

(٤) فى الأغانى : « والمزار » مكان : « والمرد » .

(٥) غل شعره بالطيب : أدخله فى أصوله . والرواية فى الكامل (ص ٣٣٤) : « ياثور فرق بينها » .

فأصبح رأسى كالصُّخَيرة أَشْرفت عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابها

طخيم الأسدى فى مثله

ثم ذكر أبو الفرج فى نظير ذلك أن طُخَيْماً الأَسدىّ شَرب بالحِيرة ، فأَخذه العبّاس بن مَعبد المُرِّى ، وكان على شُرْطة يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ، فقال :

وبالحِيرة البَيْضاء شَخْص[1] مُسلَّطٌ إذا حَلف الأيمان بالله بَرَّتِ
لقد حَلَقوا منها غُدَافاً كأنها عناقيدُ كَرْمٍ أَينعت[2] فاسْبطرَّت
يَظَلّ العَذارى حين تُحْلَق لِمّتى على عَجَل يَلْقُطْنها حيث[3] جُزَّت

خبر مقتله

ذِكْر مقتل يزيد بن الطّثرية .

قيل : أغارت بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيل ، ومعهم رجلٌ من بنى قُشير جارٌ لهم ، فقُتل القُشَيْرىّ ورجلٌ من بنى عُقَيل ، وأُطُّردت[4] إبلٌ من العُقَيليِّين . فأَتى الصّريخُ عُقيلاً ، فلحِقوا القومَ فقاتلوهم ، فقَتلوا من بنى حَنيفة رجلاً وعَقروا أفراساً ثلاثةً من خَيل حنيفة ، فانصرفوا ولَبثوا سنة .

ثم إنّ عُقيلاً انحدرت مُنتجعةً من بلادها ، بلاد بنى تَميم ، وعلمت بهم حَنيفة فغزَتْهم ، وحَذر العُقيليّون وأَتتهم النُّذُر من نُمير ، فانكشفوا ، فلم يَقدروا عليهم . وبلغ ذلك من بنى عُقيل وتلهّفوا على بنى حَنيفة ، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة ، ثم تشاوروا ، فقال بعضُهم : لا تَغْزوا قوماً فى مَنازلهم ودُورهم فيَمتنعوا منكم ، ويتحصّنوا دونكم ، ولا نأمن أن يَفضحوكم . فأقاموا بالعَقيق .

وجاءت حَنيفةُ غازيةً كعباً لا تتعدّاها ، حتى وقعت بالفَلَج . فتطاير الناسُ . ورأسُ حنيفة يومئذٍ المُنْدَلِف . وجاء صَريخُ كَعب إلى أبى لَطيفة بن مُسلم العُقيلى ،

(١) فى الأغانى : « شيخ » .
(٢) اسبطرت : طالت وامتدت .
(٣) فى الأغانى : « حين » .
(٤) اطردت : انساقت .

وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ، فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد . فأرسل فى عُقَيل يستمدُّها . فأتتْه ربيعةُ بن عُقَيل ، وقُشير بن كعب ، والحَريش بن كعب ، وأفناء خَفاجةَ ، وجاش إليه [1] الناسُ . فقال : إنِّى أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجىء ونعلَم ما تُشير به . ثم أصبح صُبْح ثالثةٍ وهو على فرسه يَهْتف : أعزَّالله نَصركم وأمتعنا بكم ، انصرفوا راشدين فلم يكن بأس . فانصرف الناسُ . فسار فى بنى عمِّه ورهطه دِنْيةً .

وإنما فعل ذلك لتكون له الشُّمعة والذِّكر ، فكان فيمن سار معه القُحيف ابن خُمَير ، ويزيد بن الطَّثْرية ، الشاعران . فساروا حتى واجهوا القومَ فواقعوهم ، فقتلوا المُنْدَلِف ، رمَوْه فى عَينه ، وسَبَوْا وأسروا ومثّلوا بهم ، وقطعوا أيدى اثنين منهم ، ثم أرسلوهما إلى اليمامة وصَنعوا ما أرادوا . ولم يُقْتل ممن كان مع أبى لَطيفة غيرُ يزيدَ بن الطَّثْرية ، نَشِب ثوبُه فى جِذْل من عُشَرَة [2] فانقلب ، وخَبطه القومُ بأسيافهم فقُتل .

فقالت أُخته زينبُ بنت الطَّثْرية ترثيه . وقيل : بل قائلها وَحشية الجَرمية شعر أخته فى رثائه صاحبته :

أرى الأثلَ من بَطن العَقيق مُجاورى ... مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتًى لا ترى قَدّ القَميص بخَصْره ... ولكنما تُوهى القميصَ كواهلُه
إذا نَزل الأضيافُ كان عَذَوَّراً ... على الحىّ حتى تَستقر [3] مَراجلُه
يَسرُّك مَظْلوماً ويُرضيك [4] ظالماً ... وكُلُّ الذى حَمَّلتَه فهو حامله
إذا جَدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ أهلكَ باطلُه

(١) جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلا .
(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : من شجر العضاه ، وهى من كبار الشجر .
(٣) العذور : البرم . والمراجل : القدور . وفى الأغانى : « تستقل » مكان : « تستقر » واستقلال المراجل : انتصابها على الأثافى . (٤) أى يحميك ويمنعك .

إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهو عامـــدٌ لأفضلِ ما أَمُّوا له فهـو فاعـــله
ترى جازريه يُرْعَـــدان ونارُه عليها عَدَاميـل الهَشيم [1] وصامِله
مضَى وورثْناه دَرِيسَ [2] مُفاضةٍ وأبيضَ هِنديًّا طويلاً حَمـــائله
فتًى كان يحمى المُحْجَرين بسَيفه ويبلغ أقصى حَجْرةِ [3] الحىّ نائله
فتًى ليس لابْن العم كالذِّئب إن رأى بصاحبـــه يوماً دماً فهـو آكله
سَيَبْكيه مـــولاه إذا ما ترفّعت عن الساق عند الرَّوع يوماً [4] ذَلاذِله

الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى فيه الغِنـاء، وأفتتح به أبو الفرج أخبارَ يزيد بن الطثرية، هو قولُه:

أمسى الشبابُ مودَّعاً مَحمودَا والشيبُ مُؤْتَنِفَ المحلِّ جَديدَا
وتغيَّر البيضُ الأوانسُ بعد ما حَمَّلْتُهُنَّ مَواثقاً وعُهودا

ما يغنى فيه من شعره

ومما يُغنَّى فيه من شعره قولُه:

بنفسىَ من لا أُخبر الناسَ باسمه وإن حَملت حِقْداً علىّ عشائرُهْ
بنفسى ومالِى مَن حَملت [5] له الرَّدَى ومَن ذِكْره منِّى قريبٌ أُسامِره
ومن لو جرتْ شَحناءُ بينى وبينه وحاوَرَنى لم أَدْر كيف أُحاوره

(١) عداميل: جمع عدمول، وهو الشىء القديم. والصامل، اليابس.
(٢) الدريس: الخلق من الدروع وغيرها. والمفاضة: الدرع الواسعة. يريد أنه أنفق ماله فيما أكسبه حمدا، ولم يترك إلا هذه الدرع وذلك السيف.
(٣) المحجر: الملجأ المضطر. والحجرة: الناحية.
(٤) الذلاذل: أهداب الثياب.
(٥) فى الأغانى: «بأهلى ... جلبت له الأذى».

أخبار جميلة

ولاؤها

هى مولاةُ بنى سُلَيم ، ثم مولاة بطنٍ منهم يقال لهم : بنو بَهْز .

وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج . وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها ، فقيل : إنها مولاة الأنصار .

منزلتها فى الغناء

وهى أصل من أُصول الغناء . أخذ الغناء عنها مَعبد ، وابن عائشة ، وحَبابة ، وسلاّمة ، وعَقيلَة العَقيقيّة ، والشَّمّاسيّتان : خُليدة ، ورُيحة .

حديث أبى عباد عن مجلس لابن جعفر عندها

وحكى أبو عبّاد قال :

أتيتُ جميلةَ يوماً ، وكان لى موعدٌ ، وظننتُ أنّى سبقتُ الناسَ إليها ، فإذا منزلُها غاصٌّ ، فسألتُها أن تُعلِّمنى شيئاً . فقالت : إن غيرَك قد سَبقك ولا يَحُل تقديمُك على مَن سواك . فقلت: جُعلتُ فداكِ ! متى تفرُغين ممّن سَبقنى ؟ قالت: هو ذاك ، الحقُّ يَسعك ويَسعهم .

فبينا نحن كذلك، إذ أقبل عبدُالله بن جَعفر بن أبى طالب ، وإنه لأوّل يوم رأيتُه وآخرُه ، وكنتُ صغيراً كيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفَرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقّته وقبّلت رجلَيْه ويديه . وجَلس فى صدر المجلس على كوْمٍ لها ، وتحوّق[1] أصحابُه به، وأشارت إلى من عندها بالاُنصراف، فتفرّق الناسُ،وغمزتنى ألاّ أَبرح ، فأقمتُ . وقالت : يا سيدى وسيد آبائى وموالىّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقُل أَقدامك إلى أَمَتك ! قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألاّ تُغنِّى أحداً إلا فى منزلك ، وأحببتُ الاستماعَ .

(١) تحوق أصحابه به : أحاطوا واستداروا .

فقالت : جُعلت فداك ! فأنا أصيرُ إلى منزلك وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك . و بلغنى أنّك تُغنين بيتين لأمرىء القَيس تُجيدين الغناء فيهما ، وكان الله جلّ وعزّ قد أنقذ بهما جماعةً من المُسلمين من الموت .

قالت : يا سيدى ، نعم . وأندفعتْ فغنّت بعُودها . فما سمعتُ منها قبل ذلك اليوم ولا بَعده إلى أن ماتت مثلَ ذلك الضَّرب ، ولا مِثل ذلك الغناء . فسبَّح عبدُ الله بن جعفر رحمه الله والقومُ معه . وهما :

ولمّا رأتْ أنّ الشَّريعة هَمُّها ... وأنّ البَياضَ مِن فَرائصها [1] دامِى

تَيمَّمتِ العَينَ التى عند ضارجٍ ... يَفىء عليها الفَىء عَرْمَضُها [2] طامِى

فلما فرغتْ قالت جميلة : أىْ سيدى ، أَزيدك ؟ قال : حسبى . فقال : بعض القوم الذين كانوا معه : بأبى جُعلت فداك ! كيف أَنقذ الله تبارك وتعالى بهذين البيتين جماعةً من المُسلمين ؟ قال : نعم . أقبل قومٌ من أهل اليمن يُريدون النبىَّ صلَّى الله عليه وسلّم ، فضلوا الطريقَ و وقعوا على غيرها ، ومَكثُوا ثلاثاً لا يَقدرون على الماء ، وجَعل الرجلُ منهم يَستذرى [3] بفَىْء السَّمُر والطَّلْح يأساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعير له ، فأَنشد بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : اُمرؤ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم . فأَشارلهم إليه . فخبَوْا على الرُّكب فإذا ماءٌ عِدٌّ ،[4] و إذا عليه العَرْمَض ، والظلُّ يَفىء عليه . فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بَلغوا الماء . فأتوا النبىَّ

---

(١) الشريعة : مورد الماء . والهم : الطلب . والفرائص : جمع فريصة ، وهى اللحم بين الكتف و الصدر .

(٢) ضارج : موضع فى بلاد بنى عبس . والعرمض : الطحلب . وطامى : مرتفع . يريد أن الحمر لما أرادت الماء خافت على أنفسها من الرماة وان تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت إلى ضارج .

(٣) يستذرى : يستظل .

(٤) عد : دائم لا انقطاع له .

صلَّى الله عليه وسلّم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أَحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر امرىء القيس ، وأَنشدوه الشِّعر . فقال صلّى الله عليه وسلم : ذلك رجلٌ مَذكور فى الدُّنيا شريف فيها، مَنْسىٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها ، يجىء يومَ القيامة معه لواء الشُّعراء إلى النار .

فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبد الله بن جَعفر ونَهض القوم معه . فما رأيت مجلساً كان أحسنَ منه .

قلت :

ما اختاره ابن واصل وما اطرحه من أخبار جميلة

لم أختر من أخبار جَميلة غير ما أوردتُه ، وما عدا ذلك فإنى أُطَّرحته لغَثاثته وعدم فائدته .

---

obeikandl.com